المدح
" في شعر مسلم بن الوليد "

الدكتور
عبد الهادي عبد النبي علي أبو علي
أستاذ الأدب والنقد المشارك
بجامعتي الأزهر وأم القرى

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

" المقدمة "

" الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وأفضل خلق الله أجمعين وعلى أله وخلفائه الراشدين وأصحابه أجمعين والتابعين وكل من أمن به ودعابدعوته واتبع سنته وسار على نهجه إلى يوم الدين.....

وبعد

فهذا بحث موضوعه :" المدح فى شعر مسلم بن الوليد " وهوموضوع جدير بالبحث والدراسة حيث لم يأخذ الشاعر حقه من الدراسة والبحث ولم ينل حظا وافيا كغيره من شعراء عصره بالرغم من أنه شاعر عملاق ويمثل شاعر القوة الأول فى عصره ويتجلى ذلك بوضوح فى شعره الذى خصصه للمدح والذى يحتل مكانة متقدمة فى شعره من حيث الكم والروعة والافتتان.

من هنا كان الاتجاه نحو دراسة شعر المدح عند الشاعر دراسة وافية بجانب التعريف بالشاعر وحياته وثقافته وأشعاره التى ضمها ديوانه.

وقد سرت فى هذا البحث على خطة واضحة تكمل بعضها بعضا ... حيث صدرته بالحديث عن حياة الشاعر ونشأته وثقافته، ثم تحدثت عن شعره وأهم الأغراض التى ظهرت فى ديوانه......

فتحدثت عن شعر الغزل وألوانه وخصائصه وشعر الخمر وخصائصه وشعر الطبيعة وخصائصه ثم تعرضت لأغراض أخرى فى ديوانه: كالرثاء والفخر والهجاء والحكمة والعتاب والألغاز وذلك فى إيجاز شديد.

ثم تحدثت عن المدح فى شعره وفصلت القول فى ذلك تفصيلا واضحا لأنه موضوع البحث وأصله ، فقد وضحت مكانة المدح بين أغراضه الشعرية وقسمته إلى مدح سياسى ومدح اجتماعى وفصلت الحديث فى ذلك مكثرا من النمازج الشعرية متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل.

وثم تحدثت بعد ذلك عن الخصائص الفنية لمدائحه وتعرضت لمذهبه الفنى وخصائص فنيه أخرى مثل : بناء المدحة واللغة والأسلوب والمعانى والأفكار والخيال والتصوير والأوزان والقوافى متعرضا لذلك بالتفصيل وذكر النماذج الشعرية من ديوانه مبرزا مافيها من قديم وجديد سبق إليه الشاعر.

ثم تحدثت بعد ذلك عن منزلة الشاعر ومكانته متعرضا لأقوال النقاد والعلماء ومن عندهم بصر بنقد الشاعر فى شاعريته ومكانته مسجلا رأيى الخاص ونظرتى الذاتية فى شاعريته ومكانته.

وإنى لأرجو العون والتوفيق من الله تعالى وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب"

دكتور
عبد الهادى عبد النبى على أبو على
٥ محرم ١٤١٢هـ
مكة المكرمة فى
١٧ يوليو ١٩٩١م

" الفصل الأول "

" حــياة الشــاعر "

نسبه:

هو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري وقد كان يكنى باسم أبيه فيقولون له:" أبو الوليد"[١] كما كان يكنى أيضا " بأبي مخلد " باسم ولده الأكبر"[٢].

وقد اختلف الباحثون والرواة في نسبه أهو عربي من الأنصار؟ أم أنه مولى من مواليهم؟.

فقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأنه عربي الأصل ينتمي إلى الأنصار أمثال ابن قتيبة حيث يقول عنه: مسلم بن الوليد من أبناء الأنصار وكان مداحا محسنا"[٣] ويرى الحصري صاحب كتاب " زهر الآداب" أن مسلما أنصاري صريح وشاعر فصيح"[٤]

ويرى " الخوارزمي " أنه عربي الأصل ومن أبناء الأنصار[٥]، واعترف بعروبته ونسبه العربي الأنصاري الأستاذ: الترزي"[٦].وغيرهم من الباحثين.

وقال آخرون:إنه فارسي الأصل وليس عربيا بل كان مولى" للأنصار ولم يكن منهم وبهذا قال معظم الباحثين والمؤرخين.فقد قال أبو الفـــــرج

---

(١) ص ٧٢ طبقات الشعراء لابن المعتز.

(٢) ص ٤٠١ ج ١٦ الأغاني طبعة دار الكتب المصرية

(٣) ص٧٨١ ج٢ الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة أحمد محمد شاكر مصر عام ١٣٦٦هـ

(٤) ص ١٣٢ ج٤ زهر الآداب طبعة مصر عام ١٩٣١م.

(٥) ص ١٤٩١ جـ ٤ شرح سقط الزند طبعة الأبياري وزملائه مصر عام ١٩٤٥.

(٦) ص ٥٥ مسلم بن الوليد.

الأصبهانى مسلم بن الوليد أبوه: فقد قال " أبو الوليد مولى الأنصار مولى أبى أمامه أسعد بن زرارة الخزرجى"(١)، . وقال " المرزبانى " مسلم بن الوليد الأنصارى مولى آل أسعد بن زرارة الخزرجى(٢). ويرى " الخطيب البغدادى " أيضا أنه مولى أسعد بن زرارة الخزرجى(٣) وإلى ذلك ذهب " البكرى " فى كتابه " " سمط اللآلىء " حيث قال ": مسلم بن الوليد مولى أبى أمامة أسعد ابن زرارة الخزرجى"(٤).

ويرى صاحب " النجوم الزهرة" أيضا أنه ليس عربيا بل مولى أسعد بن زرارة الخزرجى "(٥) كما ذهب إلى ذلك أيضا صاحب كتاب " معاهد التنصيص حيث يقول : " مسلم بن الوليد هو صريع الغوانى وأبوه مولى بنى أمامه أسعد بن زرارة الخزرجى"(٦).

وذهب إلى ذلك أيضا محمد بن شاكر الكتبى "(٧) وخير الدين الزركلى(٨) وعلى نهجهم سار كثير من الباحثين والدارسين : أمثال : الدكتور : " شوقى ضيف "(٩) والدكتور " يوسف خليف " (١٠)

---

(١) ص ٣٨ ج١٧ الأغانى ، دار الكتب المصرية

(٢) ص ٣٧ معجم الشعراء للمرزبانى. طبعة مصر عام ١٣٥٤هـ

(٣) ص ٩٦ ج ١٣ تاريخ بغداد ، طبقة مصر عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

(٤) ص ٤٢٧ سمط اللآلى للبكرى طبعة مصر عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦م.

(٥) ص ١٨ جـ٢ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. لابن تغرى بردى نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٦) ص ٣٦٠ معاهد التنصيص للعباسى. طبعة مصرعام ١٢٧٤هـ

(٧) ص ١٣٦ جـ ٤ فوات الوفيات ، تحقيق دار إحسان عباس . دار صادر بيروت

(٨) ص ٢٢٣ جـ ٧ الأعلام ، طبعة دار العلم ببيروت الطبعة الخامسة ١٩٨٠م

(٩) ص ٢٥٣ العصر العباسى الأول.

(١٠) ص ٦٩٦ حياة الشعر فى الكوفة.

والدكتور : " محمد نبيه حجاب [١] والدكتور :" عبد القادر الرباعى [٢]
وغيرهم من الباحثين والدارسين..

ومع أن معظم المؤرخين والباحثين يقولون بالنسب الفارسى للشاعر وينفون عنه النسب العربى إلا أننى أميل مع الرأى القائل بعروبته ونسبه العربى الأنصارى وأرجعه لأسباب عديدة:

أولها: أن الشاعر قد صرح بنفسه ومن خلال شعره أنه عربى أنصارى حيث يقول :[٣].

تقسمنى فى " مالك " آل " مالك " وفـى أسلـم الآثريـــن آل "رزين "

ويروى صاحب " جمهرة الإسلام " أن أبا العباس المبرد قال : إن مسلما كان يمدح من دون الخليفة ولا يطمع فيه فكان يقول : أرى نفسى تذوب حسرات من أن يحوى جوائز الخلفاء من لايوازيني فى أدب ولا يماثلنى فى نسب[٤] أى نسبه الأنصارى ، فمسلم بن الوليد نفسه يصرح بنسبه العربى الأنصارى ويفخر بذلك علنا.

ثانيا: الإعتراف الصريح من " منصور الحميرى " بنسب الشاعر إلى الأنصار أمام الخليفة " هارون الرشيد " عندما سعى بمسلم لتقديمه إلى

---

(١) ص ١٧٦ معالم الشعر وأعلامه فى العصر العباسى الأول . الطبعة الثانية١٩٧٣دار المعارف.

(٢) ص ١٨ صريع الغوانى. الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م. دار العلوم للطباعة.

(٣) ص ٣٤٤ شرح ديوان صريع الغوانى. للدكتور : سامى الدهان الطبعة الثانية دار المعارف بمصر:

(٤) ص ٣٨ جمهرة الإسلام . للشيرزى. عن ديوان مسلمص ٤٢٩.

الخليفة وتعريفه به وبشعره حيث قال الحميرى للخليفة " يا أمير المؤمنين خلفت بالباب آنفا رجلا من أخوالك الأنصار متقدما فى شعره وأدبه وظرفه"[1] . ويعنى به " مسلم بن الوليد ".

ثالثا: أن مسلم بن الوليد ظل يفتخر بنسبه العربى الأنصارى طوال حياته ولم تظهر عنده النزعة الشعوبية التى ظهرت فى عصره وعند كثير من الشعراء غير العرب الذين راحوا يفخرون بنسبهم الفارسى ويحطون من شأن العرب ويضعون من قدورهم ويرفعون عليهم أبناء جنسهم ، فلم يروعن الشاعر أنه كان شعوبيا ولم يرد فى شعره بيت واحد يدل على شعوبيته بل إنه سجل فى ديوانه عروبته وراح يفخر بعروبته وبقومه الأنصار فى مواطن عديدة من ديوانه فى الوقت الذى ساد فيه العنصر الفارسى واعتلى الفرس أعلى المناصب فى الدولة ، وقضى على التعصب للعرب بانتهاء الدولة الأموية .ولم يعد هناك سبب لإخفاء شخص نسبه غير العربى.

رابعا: تمكن مسلم بن الوليد " من اللغة العربية السلمية وحفظه للغريب من ألفاظها ونشأته البدوية ومشافهته للأعراب وإشادة علماء اللغة ورواة الشعر بشعره وقوته وأسلوبه المتين ترجح القول بعروبة الشاعر، فلم يعثر فى ديوانه على خطأ لغوى واحد مثلما وجد فى شعر الشعراء الموالى.

فكل هذه الأسباب مجتمعة تجعلنا نميل إلى القول بعروبة نسبه وترجيح عروبته وأنه عربى من أبناء الأنصار من جهة أبيه.

---

(١) ص ٣٨ جمهرة الإسلام للشيرزى. محظوطة ليدن رقم ٤٨٠. عن ديوان مسلم ص ٤٢٩.

وأما نسبه من جهة أمه فإنه ينتمى إلى قبيلة خزاعة العربية الشهيرة الأزدية اليمانية الأصل والمنبت ، وهو ما قاله " مسلم " نفسه فى الشطر الثانى من بيته الذى صرح فيه بنسبه، وذلك على الرغم مما ذهب إليه بعض الباحثين إلى أن أمه كانت مولاة لآل رزين جد " دعبل " الذى يعود فى نسبه إلى قبيلة خزاعة الأزدية اليمانية[١] وذهب إلى ذلك كثير من الباحثين والمؤرخين وهم أنفسهم الذين قالوا بنسبه الفارسى من جهة أبيه. [٢].

---

(١) ص ٤٥ العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى، د/ إحسان النص.

(٢) ينظر ذلك فى موضعه.

لقبه وكنيته

وإذا كان الرواة والباحثون قد اختلفوا فى نسبه فإنهم لم يختلفوا فى كنيته فقد كان يكنى " أبا الوليد"[١] نسبة إلى والده كما كان يكنى أيضا " أبا مخلد"[٢] نسبة إلى ولده الأكبر " مخلد " إلا أن الكنية الأولى ذاعت وانتشرت وكانت أشهر من الثانية.

كذلك لم يختلف الرواة والباحثون فى لقبه، فقد كان يلقب " بصريع الغوانى" حيث لقبه بذلك الخليفة " هارون الرشيد" حينما وصل إليه فى أول يوم لقيه وأنشده قصيدته التى يصف فيها الخمر وأولها:

أديرا على الكأس لاتشربا قبلى .... ولاتطلبا من عند قاتلى ذحلى

فاستحسن ما حكاه من وصف الشراب واللهو والغزل وسماه يومئذ صريع الغوانى" بآخربيت منها وهو قوله:

هل العيش إلاأن تروح مع الصبا .. وتغدو صريع الكأس والأعين النجل[٣]

---

(١) ص ٣٨ جـ١٧ الأغانى. ص ٧٢ طبقات الشعراء لابن المعتز . وص٤٢ جـ ١ البيان والتبيين للجاحظ . وص ٣٧٢ معجم الشعراء للمرزبانى وص ٩٦ جـ ١٣ سمط اللآلى للكبرى. ص ١٨٥ معالم الشعر وأعلامه د. حجاب و ص ١٣٦ جـ ٤ فوات الوفيات. وص ٢٢٣ ج٧ الأعلام للزركلى.

(٢) ص ٤٠١ جـ ١٦ الأغانى.

(٣) ينظر جـ١٣ ص ٩٦ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى. وص ٢٣ لطائف المعارف للثعالى و ص ٨٠٨ جـ ٢ الشعر والشعراء لابن قتيبة وص ١١٤٢ جـ ٣ سقط الزند للمعرى. و ص ٤٣٧ سمط اللآلى للبكرى وص ٣٨ جمهرة الإسلام للشيرزى، وص ١٥٢ جـ ٢ خزانة الأدب.

فقال له الرشيد : أنت " صريع الغوانى " فسمى بذلك حتى صار لايعرف إلا به ويقال إن الرشيد كتب شعره بماء الذهب(١).

ولم يكن مسلم بن الوليد" أول شاعر يلقب بـ " صريع الغوانى " فقد لقب بهذا اللقب شاعر أموى سابق هو الشاعر " عمير القطامى" لقوله:

صريع غوان راقــهن ورقــنه ... لدن شب حتى شاب سود الذوائب(٢)

إلا أن اللقب غلب على " مسلم " وأشتهر به فغلبه.

وتروى لنا كتب الأدب أن رجلا سأل " مسلم بن الوليد " عن سبب تسميته " صريع الغوانى " وقال له : لم تدعى صريع الغوانى فأنشأ يقول:

إن ورد الخدود والأعـين النـجـ ... ـل وما فى الثغور مـن أقحوان
واسوداد الصدغين فى واضح الخـ ... ـد وما فى الصدور مـن رمان
تركتنى لدى الغوانى صـريـعـا ... فلهذا أدعى صريع الغوانى(٣)

فنرى الشاعر نفسه يعترف ويصرح باللقب وسببه وأنه صريع الغوانى حقا، وحقا كان الشاعر " صريع الغوانى " كما قال فقد عاش حياته مغرما بالجمال كلفا بالهوى يعشق النساء الفاتنات ويفتن بحبهن وكان متيما يغريه الجمال فى كل مكان يقيم فيه بل كان يتبع الجمال فى كل مكان ويخر صريعا بسببه كما تدلنا على ذلك أشعاره فى الغزل والأخبار التى وردت عنه فى كتب الأدب والتراجم خاصة ماورد عنه فى كتاب " الأغانى "(٤)

---

(١) ص ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز.

(٢) جـ ص ٦٤ معاهد التنصيص . والأغانى ج ٢٠ ص ١١٩ ط ساسى

(٣) ينظر ص ٢٣ لطائف المعارف للثعالبى. والأبيات : ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ديوانه.

(٤) ينظر جـ ١٧ ص ٤٢ الأغانى . و ص ٣٩٩ ج٦ العقد الفريد لابن عبد ربه".

ولقد كان الشاعر معجبا بلقبه " صريع الغوانى " يزهو به ويترنم بترديده فى شعره طوال شبابه وحياته الأولى من عمره فلما ظهرت علامات الشيب وهجم عليه الشيب أمسك عن ذكر هذا اللقب بل إنه كرهه وطلب من ملقبيه به أن يقلعوا عن دعوته به، فيقول مسلم:(١).

لاتدع بى الشوق إنى غير معمود ... نهى النهى عن هوى الهيف الرعاديد

لو شئت لاشئت راجعت الصبى ومشت ... فى العيــون وفاتتــنى بمجلــود

لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت ... نفسى إلى الماء عن ماء العنـاقيـد

وحدث الحسين بن دعبل " قال أبى لمسلم : ما معنى قولك:

" لاتدع بى الشوق إنى غير معمود":

قال : لاتدعنى صريع الغوانى فلست كذلك. وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارها" (٢).

---

(١) ص ١٥١ - ١٥٣ ديوان مسلم بن الوليد

(٢) ص ٤٧ جـ ١٧ الأغانى.

نشأته وحياته:

لم تحدد لنا مصادر الأدب والتراجم والأخبار القديمة السنة التى ولدفيها " مسلم بن الوليد" بل إنها أهملتها ولم تشر إليها لامن قريب ولامن بعيد إلا أن بعض الباحثين المحدثين قد حددوا سنة ولادته معتمدين على التخمين والاجتهاد الشخصى ، فقال البعض إنه ولد بين سنتى (١٣٠ هـ ٧٤٧م) و (١٤٠ هـ - ٧٥٧) م [١] وذهب البعض إلى أنه ولد عام ١٤٠ هـ [٢] وقيل إنه ولد بين عامى: ١٣٨ هـ و ١٤٠ هـ [٣] ورأى البعض إنه ولد مابين سنتى : ١٤٠هـ و -١٥٠ هـ .

ونحن لانستطيع أن نحدد لولادته سنة محددة لأن المصادر القديمة أهملت ذلك ولم تحدده ولانستطيع أن نقطع فى ذلك وإنما نفرض أن الشاعر ولد حوالى عام ١٤٠ هـ تبعا للظروف التى نعرفها عن حياة الشاعر أو نعرفها من خلال شعره، فقد روت كتب الأدب أن الخليفة " هارون الرشيد " كان يحفظ بعضا من شعر مسلم بن الوليد وهو صغير[٤] وهذا يعنى أن مسلما كان أكبر من الرشيد وقدولد الرشيد عام ١٤٨هـ[٥] وإذا افترضنا أن " الرشيد " كان يصغر " مسلما " بنحو ثمان سنوات فعلى هذا يكون مسلم قد ولد عام ١٤٠ هـ فرضا لاتحديدا.

وقد ولد " مسلم بن الوليد " بمدينة " الكوفة " ونشأ فى بيت فقير متواضع حيث كان والده يعمل " بالحياكة " إلا أن أباه قد وجهه وجهة

---

(١) ص٣٢ جـ ٢ تاريخ الأدب العربى ، كارل بروكلمات . ترجمة " د/ عبد الحليم النجار طبع : دار المعارف . الطبعة الرابعة.

(٢) ص ١٨٦ معالم الشعر وأعلامه للدكتور : حجاب.

(٣) ص ٢١ صريع الغوانى . د/ عبد القادر الرباعى.

(٤) ص ٣٨٢ جـ ٢ العقد الفريد لابن عبد ربه.

(٥) ص ٥٨٦ جـ ٥ الكامل فى التاريخ لابن الأثير طبعة بيروت.

أخرى حيث وجهه نحو العلم والتعليم فقد ألحقه بمكاتب الكوفة ومساجدها فحفظ القرآن الكريم وتذوق أسلوبه وأتقنه وأخذ يتنقل منذ طفولته بين مساجد الكوفة يدرس علوم الدين واللغة العربية ويرتاد مجالس العلم والأدب واللغة ويتردد عليها ويلتقى بعلماء اللغة والنحو والرواية والأدب : كأبى عمرو بن العلاء " و " الخليل بن أحمد الفراهيدى" و"سيبويه " و " الكسائى" و خلف الأحمر " و" الأصمعى " وغيرهم من العلماء والأدباء ويأخذ عنهم اللغة والنحو والأدب كما تنقل الشاعر بين القبائل والبوادى حتى قضى فترة طويلة يأخذ اللغة والأدب عن الأعراب ويشافه أهل اللغة والأدب فى بيئة اللغة والأدب الأصلية حتى تمكن من الإحاطة بأسرار اللغة وبواطنها وحفظ غريب اللغة وحواشيها فضلا عن حفظه للكثير من أشعار الجاهليين والإسلاميين والأمويين وحفظ كثيرا من الخطب والأمثال القديمة.

وقد أعد الشاعر نفسه منذ صغره ليكون شاعرا عملاقا فأخذ بكل عناصر الشاعرية وأسبابها وملك ناصية اللغة وأدوات الشاعرية: من لغة ونحو وعروض وصرف وبيان وشعر وثقافة متنوعة قديمة كانت أم حديثة جدت فى عصره العباسى الأول الذى ولد وعاش فيه.

وقد أعد الشاعر نفسه إعدادا ممتازا لأنه تطلع إلى أن يكون شاعرا عملاقا مثل هؤلاء الشعراء العمالقة الذين وجدوا فى عصره ونالوا شهرة واسعة بشعرهم مما حداه إلى أن يلتقى بهم ويجالسهم ويشافههم ويطارحهم القول فى كل مكان وجدوا فيه ، فقد التقى الشاعر بالحمادين الثلاثة و " مطيع بن إياس " و " بشاربن برد " و " أبى العتاهية " وغيرهم من شعراء عصره وظل يجالسهم إلى أن وقع فى مصايد اللهو والمجون مثلهم وراح يحل ويرتحل معهم إلى كل مكان يقصدونه عن رضى منه وهوى فى نفسه.

وأخذ " مسلم " بكل أطراف الشاعرية وأسبابها حتى أصبح شاعرا ينظم الشعر ويجالس الشعراء ويصادقهم ويساجلهم إلى أن جعل نفسه شاعرا كبيرا قادرا على نظم الشعر بكل قوة وأقتدار .

ثم رحل " مسلم بن الوليد " إلى " بغداد " التى كان يتطلع إليها ويرنو ببصره نحوها عله ينال هناك شهرة واسعة وحظوة عند كبار رجال الدولة والخلافة العباسية وعله يحقق معيشه وارفة يحقق فى ظلها حياة هنيئة ثرية ويودع حياة الفقر وشظف العيش.

وقد استطاع الشاعرأول الأمر أن يتصل بالأمراء والرؤساء ويمدحهم وينال جوائزهم وعطاياهم مقتنعا باليسير من العطاء منفقا ما يأخذه فى مجالس اللهو والمجون ، فقد اتصل بالقائد العربى" يزيد بن مزيد الشيبانى " واتجه إليه يمدحه ويشير بجهوده وانتصاراته إشادة بالغة ووجد فيه مجال القول فسيحا وواسعا: حيث القائد العربى الشجاع الذى وطد الملك وأرسى دعائمه وقلم أظفار الخارجين على الدولة وحقق لها الأمن والأمان داخليا وخارجيا ،فضلا عن أنه كان صاحب بأس وعزة وكرم ومروءة فأغدق على الشاعر العطاء والمنح وبذل له أوسع البذل ونال منه مئات الآلاف من الدراهم وظل إلى جواره الى أن مات " يزيد " فرثاه رثاء " حارا بقصائد تعد من عيون الرثاء فى الشعر العربى.

ثم اتصل الشاعر " بالبرامكة" ومدحهم وتوثقت الصلة بينه وبينهم وأتحفهم بغرر مدائحه ونال منهم فى المقابل أعظم المنح والهبات.

فقد مدح " الفضل بن يحيى " و " جعفر بن يحيى" و " وإسماعيل البرمكى " وغيرهم وانقطع لمديح البرامكة والتغنى بفضائلهم ومآثرهم.

وقد تطلعت نفس الشاعر إلى الأتصال بالخليفة العباسى لينال منه جوائزه وعطاياه السخية خاصة وأنه وجد من هو دونه من الشعراء يدخلون على الخليفة ويمدحونه وينالون جوائزه الثمنية أمثال : أبى العتاهية " وأبى نواس " و " مروان بن حفصة " و " غيرهم مما حرك الرغبة فى نفسه فى الوصول إلى القصر ومدح الخيفة العباسى، فاتصل " بمنصور بن يزيد الحميرى " -خال الخليفة - وطلب منه أن يمهد له عند الخيفة وكان له ماأراد وأخذ يمدح. الرشيد ، بغرر المدائح ويقبض منه أثمن المنح حتى لمع نجمه وبعد صيته واشتهر أمره شهره واسعة ونال عطف الخليفة وعطاياه وأعجب به " الرشيد " إعجابا عظيما ولازمه الشاعر وأخذ يمدحه مدحا رائعا يفتن الخليفة ويثير إعجابه ويفتح له خزائنه.

كما اتصل أيضا بالخليفة " الأمين " والخليفة " المأمون " ونال منهما الجوائز والهبات الثمينة ، كما اتصل " بالفضل بن سهل " وزير المأمون " وتوثقت الصلة بينهما لدرجة الصداقة والصحبة حيث كان يجالسه وينادمه على الشراب ، وكان الفضل " جوادا سمحا فأغدق عليه الأموال والهبات والأقطاعات وغمره بعطفه وماله ،

وسر به وقال له حينما ذهب إليه إلى " مرو " بعد الخلاف الذى دب بين : الأمين و " والمأمون " على الخلافة بعد موت أبيهما :" هذه والله الدولة التى يرفع فيهاحالك وأمرله بمال عظيم (١) ونال عنده حظوة عظيمة وولاه بعض الأعمال فى " جرجان " فقيل إنه ولاه بريدها (٢) وقيل ولاه مظالمها (٣) وقيل قلده حور جرجان (٤) وقيل : ولاه ضاع الجور

---

(١) الأغانى جـ ١٧ ص ٥٢ و ص ٤٠٢ الموشح للمرزبانى.
(٢) ص ٤٧و ما جـ ١٧ الأغانى وص ٢٠٢ الفخرى فى الأداب.
(٣) ص ٣٨ جـ ١٧ الأغانى
(٤) ص ٥١ جـ١٧ الأغانى.

لجورجان[1] وقيل : ولاه جرجان نفسها[2] ويبدو من هذه الروايات أن الفضل ولى " مسلما " أعمالا عديدةفى جورجان ثم ولاه إياها آخر الأمر ، فقد ولاه بريدها ومظالمها ثم ولاه جرجان نفسها ويتضح ذلك فيما قاله العباسى صاحب كتاب " معاهد التنصيص " حيث يقول :" ثم اتصل - أى مسلم - بالفضل بن سهل وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلبه أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم [3]".

المهم أن مسلما " نال خطوة عظيمة عند " الفضل بن سهل " وظل مقربا منه إلى أن قتل الفضل عام ٢٠٢ هـ فتألم " مسلم " وبكاه بعيون دامعة.

وقد اتصل "مسلم " بكثير غير هؤلاء من كبار رجال الدولة فقد اتصل " بمنصور الحميرى" و" سهل أبا يحى من آل الصباح " و " يعقوب بن سعدان " و " داود بن يزيد بن المهلب " و " وزيد بن مسلم الحنفى " و " هاشم ابن عم يزيد بن قصى " و " حماد بن سيار " و " محمد بن منصور بن زياد". و " خزيمة بن خازم " و " الحسن بن عمران الطائى " وسعيد بن سلم " وغيرهم من رجال الدولة العباسية".

كذلك اتصل " مسلم " بكثير من شعراء الدولة العباسية وصادقهم وجالسهم فقد اتصل بالشاعر " أبى العتاهية" فى "بغداد" وجمعت بينهما حياة اللهو والمجـون ومجالس الهوى وشرب الخمر مع أبى نواس فى دار

---

(١) ص ٥٠ جـ ٢ معجم البلدان . لياقوت الحموى.

(٢) ص ٢٠٠ الأغانى : ترجمة أبى نواس. وص ٢٥٩ الموشح للمرزبانى وص ١٧٩ جـ ١ وفيات الأعيان.

(٣) ص ١١ جـ ٢ معاهد التنصيص . المطبعة البهية عام ١٣١٦هـ.

أحدهما أو فى دار القراطيسى يشربون ويطربون وتغنى لهم القيان [١] "كما أتصل بالشاعر " د عبل الخزاعى " وتوثقت الصلة بينهما توثقا عظيما وتتلمذ " د عبل " على يد " مسلم " واتخده أستاذا له وثقف على يديه وتدرب على نظم الشعر عنده ، ويقول دعبل :" مازلت أقول الشعر وأعرضه على "مسلم" فيقول لى : أكتم هذا حتى قلت : " أين الشباب " فلما أنشدته هذه القصيدة قال : إذهب الأن فأظهر شعرك كيف شئت ولمن شئت "[٢].

كمااتصل " مسلم " بكثير من شعراء عصره غير هؤلاء فقد اتصل " بمروان بن أبى حفصة " و " الحسين بن الضحاك والعباس بن الأحنف" و " وسلم الخاسر " و " أبى الشيص " و ؛ أبن أبى عينية " وغيرهم من شعراء العصر العباسى الأول.

ولقد عاش " مسلم بن الوليد " أول حياته فقيرا يعيش عيشة الكفاف لدرجة أنه لم يكن عنده مايسد به رمقه ويفضى يومه ولم يملك درهما واحدا ،ويؤيد ذلك ماورد على لسانه هو حيث يقول : " كنت يوما جالسا فى دكان خياط بإزاء منزلى إذ رأيت طارقا ببابى فقمت إليه فإذا هو صديق لى من أهل " الكوفة " قد قدم من " قم " فسررت به وكأن إنسانا لطم وجهى لأنه لم يكن عندى درهم واحد أنفقه عليه فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلى وأخذت خفين كانالى أتجمل بهما فدفعتهما إلى جاريتى وكتبت معها رقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأ له أن يبيع الخفين ويشترى لى لحما وخبزا"[٣].

---

(١) جـ ٢٠ ص ٨٨ الأغانى.

(٢) ص ١٨ ص ٤٦ - ٤٧ الأغانى.

(٣) ص ٤١ جـ ١٧ الأغانى.

ومع أن الشاعر قد قضى حياته الأولى فقيرا إلا أنه عاش بقية عمره فى ثراء وغناء وترف بعد أن لمع صيته ونال جوائز الممدوحين ومنحهم الثمينة وإقطاعاتهم وهباتهم العظيمة.

وقد اختلفت حياة الشاعر فى طفولته عن حياته فى شبابه وفتوته، فقد عاش صدر حياته فى وقار وعفة وهدوء بعيدا عن حياة اللهو والمجون والعبث وابتعد عن الخلاعة وعزف عن الدور المشبوهة التى تأوى الفاسقين والخارجين على الأخلاق والدين، إلا أنه سرعان ما اتجه فى حياته وجهة أخرى متناقضة مع حياته الأولى حيث اتصل بأهل الفسق والمجون من شعراء عصره فعاش عيشتهم وفعل فعلهم وقضى حياته أو معظمها فى اللهو والمجون ميالا إلى المتعة والفسق ويسكر فينتشى فينسى كل شئ إلاجمال المتعة وعاش ما جنا يعاقر الخمر ويغازل النساء وكان يرى الحياة مجونا ولهوا ليس إلا وقضى معظم حياته بين شرب الخمر وحب النساء وراح يدعو إلى اللهو والمجون فيقول :[1].

خذ من شبابك للصبا أيامه ... هل تستطيع اللهو حين تشيب

ويقول أيضا :[2]

وما العيش إلا أن أبيت موسدا	صريع مدام كف أحور أكحل
ومكورة رود الشباب كأنها	قضيب على دعص من الرمل أهيل
خلوت بها والليل يقظان قائم	على قدم كالراهب المتبتل
فلما استمرت من دجا الليل دولة	وكاد عمود الصبح بالصبح ينجلى
تراءى الهوى بالشوق فاستحدث البكاء	وقال للذات اللقاء : ترحلى
فلم تر إلا عبرة بعد زفرة	مودعة أو نظرة بتأمل

(١) ص ١١٤ ديوانه.

(٢) ص ١٤٢ ديوانه.

ونراه أيضا يقول :[١]

مالذة الدنيا إذا مالم تكن ... فيها فتى كأس صريع حبائب

بل نراه يجاهر بمجونه ويخلع العذار فيقول :[٢]

خليلى لست أرى الحب عارا ... فلا تعذلانى خلعت العذارا

ويقول :[٣]

لاعيب إن كنت ماجنا غزلا ... فقبلى الأولون مامجنوا

وللشاعر أشعار كثيرة توحى بلهوه ومجونه[٤].

وإذا كان " مسلم بن الوليد " قد قضى جانبا كبيرا من حياته فى اللهو والمجون ميالا إلى المتعة الجنسية ونشوة الخمر إلا أنه لم يذهب فى مجونه ولهوه مبلغا بعيدا ونراه أحيانا يعزف عن اللهو والمجون ثم يتردد فيه فيعود إلى سابق عهده وظل مضطربا فى حياته لايستقيم على حال واحدة إلى أن قارب أخر عمره فاتجه إلى التوبة وأخذ يتنسك وعرف الزهد وترك المجون وعفا الخمرة والنساء والمتعة الحرام.[٥]".

وهو فى ذلك يختلف عن زميليه:" أبى العتاهية " وأبى نواس "، فقد قضى الأول نحو خمسين عاما فى أول حياته ماجنا عابثا وقضى

(١) ص ١٨٨ ديوانه.

(٢) ص ١٨٩ ديوانه.

(٣) ص ١٧٦ ديوانه.

(٤) ينظر ديوانه: ص ١٩٤ و ص ٢٠٩ و ص ١٩١ وص ١٩٤ وص ٢٠٢ وص ١١٢ - ١١٣.

(٥) ينظر ديوانه ص ٣٤١.

الثانى حياته إلا قليلا فى حياة اللهو والمجون وبلغا المدى فى لهوهما وفسقهما دون هوادة ودون وازع أو خوف أو حتى تردد بخلاف " مسلم بن الوليد " الذى لم يسرف إسرافهما بل كان يتردد كثيرا فى لهوه ويتوب عن فسقه ولهوه ثم يعود ثانية إلى اللهو مرة أخرى ، وعلى الرغم من أنه قد صرح فى شعره مرات عديدة أن غايته فى الحياة اللهو والشراب والنساء فإنه قد ظل عفيفا لايتعدى المعقول إلى غير المعقول فلم يكن فاجرا عاهرا مسرفا فى فجره وعهره ماجنا فى تصرفاته " كأبى نواس " الذى خلع العذار وترك الحياء وانحرف انحرافا بعيد المدى وناشد اللذة والمتعة فى كل مكان وفى أى وقت وبأى ثمن وركض وراء الغلمان يتصيدهم ويتغزل فيهم غزلا يضمنه عاطفة منحرفة شاذة تدل على انحرافه وشذوذه وارتكاب المنكرات والانغماس فى المحرمات .فمسلم بن الوليد – مع لهوه ومجونه – كان متعقلا لم يسرف ولم يبلغ مبلغ صاحبه " أبى نواس " فى مجونه وفساده إلى أن طلق حياة اللهو والمجون وتاب إلى ربه وعاش بقية حياته زاهدا، بل إنه قد تبرأ من شعره فى اللهو والمجون وقذف به أوبأكثره فى البحر لأنه رأى فيه عارا يلاحقه وذنبا ارتكبه فأراد أن يتخلص منه ويتوب إلى ربه توبة نصوحا، فقد روى " أن رواية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره فتغافله مسلم ثم أخذ شعره منه الدفتر الذى فى يده فقذف به فى البحر ولهذا قل شعره"[١].

ولقد تزوج " مسلم بن الوليد " من امرأتين إحداهما بعد طلاق الأخرى وأنجب ثلاثة أولاد : ولدين : هما : مخلد " و " خارجة " وبنتا واحدة لايعرف إسمها [٢]. ولاتعرف من إخوانه سوى أخيه سليمان الشاعر نديم بشار بن برد.

---

(١) ص ٤٦ – ٤٧ جـ ١٧ الأغانى ط دار الكتب المصرية.

(٢) ص ٤٤٥ الموشح للمرزبانى.

ولقد كانت للشاعر سمات خلقيّة وخُلقية واضحة فقد كان سويا جميلا محبوبا من النساء يعنى بمظهره ولباسه، كما كان كريما جوادا" مسرفا مولعا بالجمال الحسىّ خاصة الجمال الأنثوى الذى كان يستهويه أكثر مما تستهويه الخمر ، كما كان فطنا ذكيا هادئا وقورا متأنيا فى قوله وعمله وكان مخلصا وفيا متواضعا مع أنه كان معجبا بنفسه واثقا من شاعريته فضلا عن أنه كان رقيق العاصفة ينظر إلى الحياة نظرة واقعية إلا أنه كان مضطرب النفس لايستقر على قرار ، فقد عرفنا أنه أحيانا يلهو ثم يتوب ثم يرجع من حيث أتى.

موته:

عاش مسلم حياته كما رأينا إلى أن كشر الزمن له عن أنيابه فقد ماتت زوجته وقتل صديقه " الفضل بن سهل " وتراكمت عليه المصائب والكوارث وراحت تتحرفى عظامه حتى جاء ميعاد رحيله المعلوم فلقى ربه عام ٢٠٨ هـ عن عمر يقارب السبعين عاما فى "جرجان" ودفن بها وقبره معروف فيها [١] .ومعظم الباحثين قالوا إنه توفى فى العام المذكور عدا صاحب فوات الوفيات الذى قال إنه توفى عام ٢٠٠ هـ [٢]. والراجح أنه توفى عام ٢٠٨ وهو ماقالت به معظم المصادر وكتب الآدب والتراجم والأخبار القديمة منها والحديثة فضلا عن أن الشاعر قد رثى " الفضل بن سهل " الذى توفى عام ٢٠٢ هـ.

وقدرثا خارجة بن مسلم بن الوليد أباه بقوله: [٣].

تعطلت الأشعار بعد مسلم ... وصارت دعاويها إلى كل معجم

إذا مرضت أشعار قوم فإنه ... يجيئك منها بالصحيح المسلم

---

(١) ص ١٢٠ جـ ٢ معجم البلدان لياقوت الحموى و ص ٢٢٣ جـ ٧ الأعلام للزركلى. وص ٢٨ مقدمة الديوان وص ١٨٦ جـ٢ النجوم الزاهرة . ص٣٦٥ معاهد التنصيص وص ١٣ مواسم الأدب للبيتى العلوى ط مصر عام ١٣٢٦ و ص ٣٢ حـ٢ تاريخ الأدب العربى كارل بروكتمان.

(٢) ص ١٣٦ جـ ٤ فوات الوفيات.

(٣) ص ٢٥٣ جـ١ الأوراق للصولى طبعة مصر عام ١٩٣٤م.

" الفصل الثانى"

" ثقافته وشعره"

ثقافته:

نشأ " مسلم بن الوليد " فى " الكوفة " التى كانت بمثابة جامعة إسلامية وعربية كبيرة تزخر بالعلم والعلماء وتنتشر مجالس العلم فى كل ربوعها ومجالسها ومساجدها وتفيض مكتباتها العظيمة بكتب الدين واللغة والأدب فضلا عن الثقافات الحديثة التى جدت فى العصر العباسى.

و"مسلم " منذ طفولته أسلم نفسه للعلم والتعليم وراح يتنقل بين مساجد الكوفة ومكاتبها ومجالس العلم بها كما راح يتردد بين القبائل والبوادى حتى قضى فترة طويلة فيها يأخذ اللغة والآدب عن الأعراب ويشافه أهل الفصاحة وأرباب البلاغة والبيان فشب فى بيئة لغوية وأدبية مكنته من الإحاطة بأسرار اللغة وخفاياها كما مكنته من الاعتراف من حياض الآدب والبلاغة وحفظ كثيرامن أشعار الجاهليين والإسلاميين والأمويين فضلا عن الثقافة الحديثة التى جدت فى عصره.

ومن خلال شعره نرى أنه قد ثقف العلوم الدينية والعربية والحديثة، فقد تعلم القرآن ودرسة كما تعلم الفقه والحديث والتوحيد وحفظ معاجم اللغة العربية ومتنها وألم بقواعدها وصرفها وبيانها واطلع على أسرار بلاغتها وأدبها شعرا ونثرا كما ثقف الفلسفة والمنطق واطلع على الثقافات الحديثة فى عصره حتى أصبح موسوعة علمية تحوى كنوز العلم واللغة والأدب، ولاغرابة فى ذلك ولاعجب فقد أعد الشاعر نفسه منذ صغره ليكون شاعرا عملاقا وآخذ بكل أسباب الشاعرية حتى اكتملت له وحقق ماسعى إليه وأراده.

وقد اختار " مسلم " فى ثقافته طريقة الفحول من الشعراء والنهج على نهجهم بل إنه قد أعجب بشعرهم وراح يحفظه ويردده بين أصدقائه.

فقد حفظ شعر" امرىء القيس " و " النابغة " و " زهير " و " لبيد " و "الحطيئة " والأعشى " و " علقمة " و " عمر بن أبى ربيعة " و غيرهم من فحول الشعر العربى ، وقد أعجب الشاعر بشعر البادية كما رأينا فضلا عن إعجابه بشعر الحاضرة أيضا وراح يمزج بينهما حتى امتزجت ثقافته من القديم والجديد على السواء وبدا ذلك واضحا فى شعره : حيث نراه يؤثر فى شعره اللفظ القوى واللغة المعجمية والأسلوب القوى المحكم والأوزان الطويلة فضلا عن تضمين شعره بأنواع الثقافات الحديثة التى جدت فى عصره حتى أصبح شاعرا عملاقا حقا بذ كل شعراء عصره فى قوة الشاعرية فكان شاعر القوة الأول فى عصره الذى عاش فيه.

شعره:

ترك " مسلم بن الوليد " ديوانا شعريا كبيرا يبلغ نحو ثلاثمائة وستة وأربعين ورقة تضم فى ثناياها كثيرا من أغراض الشعر العربى المختلفة من مدح وغزل وخمر وطبيعة وهجاء ورثاء وعتاب وحكمة وفخر وغير ذلك من الأعراض الشعرية ولكننا نرى أن هذا الشعر الذى وصلنا من شعره لايمثل شعر الشاعر كله بل إننا نستطيع القول بأن ماوصلنا من شعره أقل مما لم يصلنا منه وذلك لأنه لايعقل أن يكون شعر شاعر أوقف حياته على نظم الشعر واتخذ الشعر حرفة وصنعة يعيش بسببها هو هذا الجزء الذى وصلنا ، خاصة وأن الشاعر قد عاصر كثيرا من الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد العباسيين واتصل بهم وصادقهم وصاحبهم وقربوه إليهم وأغدقوا عليه المنح والهبات مقابل مدائحه وإشادته بهم وإذا ذهبنا نعد مدائحه فى ديوانه وجدناها لاتتفق مع ذلك ولاتناسبه إذ كيف يعقل أن يمدح الشاعر الخليفة " هارون الرشيد " بأربع مدائح فقط وهو الذى عاش فى كنفه مدة طويلة يمدحه ويأخذ عطاياه ويعجب بشعره الخليفة ويحفظه ؟ وكيف يعقل أن يمدح الشاعر الخليفة " الأمين " بمدحة واحدة وهو الذى عاش معه عمرا طويلا وأحبه بكل حواسه ومشاعره وراح يمدحه ويشيد به ويجهوده وينال عطاياه وهباته ؟ وكيف يعقل أن يتصل الشاعر بالخليفة " المأمون" ويمدحه ببيتين اثنين فقط ؟ وإذا كانت بعض المصادر القديمة قد أوردت لنا أن الشاعر كان معجبا بنفسه كثير الفخر بنفسه ويقومه وإذا رحنا نعد قصائد الفخر لانجدها تتعدى القصيدتين؟ وإذا كانت بعض كتب الأدب أو ردت لنا أن الشاعر فى هجائه قد أحيا مذهب الهجاء فى العصر الأموى وإذا رحنا نعد أهاجيه نجدها لاتتفق وهذا القول ؟ وهكذا فى كل أغراضه الشعرية.

لقد ضاع كثير من شعر الشاعر - إن لم يكن معظمه - ولم يصل إلينا ولكننا لاندرى هل هو موجود ولم يعثر عليه الباحثون حتى الأن وقد

يأتى اليوم الذى نعثر عليه فيه ؟ أم أن هذا الجزء من شعره غيرموجود أصلا وذهب مع الأيام ودفن إلى الأبد؟.

نقلت إلينا بعض المصادر أن الشاعر فى حياته قد ألقى بشعره فى البحر بعد أن تاب وليس فى أيدى الناس منه إلا ماكان بالعراق وما كان فى أيدى الممدوحين من مدائحه"[1] وهذا يجعلنا نرجح أن الشعر الذى وصلنا من شعر "مسلم بن الوليد" هو بعضه لاكله لأنه لايتفق وشاعرية الشاعر ومكانته وحياته التى قضاها ينظم الشعر حتى توفى.

ويمثل شعر المدح الجزء الأكبر والنصيب الأوفى من ديوان الشاعر حيث يتجاوز نصف شعره ولاغرابة فى ذلك فقد كان الشاعر متكسبا بشعره واتخذ الشعر حرفة يعيش بسببها وكان كل همه أن يصل إلى الخلفية والوزير والقائد يمدحه وينال جوائزه، وسوف نفرد للمدح حديثا مستقلا فيما بعد.

ومن أهم الأغراض التى طرقها " مسلم " فى ديوانه: شعر الغزل ، حيث يحتل مرتبة متقدمة فى شعره بعد شعر المدح ولاعجب فى ذلك فقد عاش الشاعر حياته أو معظمها خليعا متقلبا على ألوان النساء مثل غيره من مجان العصر وأنه قضى هذا العمر بين الكأس والطاس وفتنة النساء وجمال عيونهن الحوراء النجلاء ولم يكن همه إلا أن يكون قلبه عامرا بالحب والهوى ويستهوى الجمال ويعشقه ويذوب فى هيامه به ويعمل لتحقيقه فكانت المرأة بالنسبة إليه الغذاء وماؤه الخمر وإذا ملكهما فقد حيزت له الدنيا كلها وقد مضى سابقا أن الشاعر لقب بـ " صريع الغوانى " بسبب بيت قاله وشدابه أمام الخليفة العباسى " هارون الرشيد ":

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

---

(١) ص ٤٧ جـ ١٧ الأغانى ط دار الكتب المصرية.

والعيش عنده خمرة وأمرأة جميلة كما يقول :

وما العيش إلا أن أبيت موسدا صريع مدام كف أحور أكحل

وقد عرف " مسلم بن الوليد " الغزل بألوانه الثلاثة : التقليدى: الذى تفتتح به القصائد ويكون مقدمة وتمهيدا لها ، والعفيف : الذى راح فيه يتغزل بالمرأة معبرا عن مشاعره وأحاسيسه نحوها ويشكو حرقة الحب وألام الهجر والصد فى عفة وطهارة دون أن يصرح بسوءات أو ذكر فواحش أو مجون ، والصريح: الذى عبر فيه عن مشاعره وراح يتغزل فى المحبوبه غزلا صريحا مصرحا بالسوءات ومتعرضا لجسدها بالوصف والتصوير.

ولقد تغزل " مسلم " بالقيان والجوارى والساقية اللاتى كان لهن أثر كبير فى حياة اللهو والمجون فى عصره وأشعن فيه الفسق والرزيلة وحوتهن أماكن اللهو والخمر حيث كان الشاعر أحد روادها مدة طويلة فوقع فى حبائلهن وتخبط معهن فى ظلام الفساد.

فمن غزله التقليدى قوله يتغزل فى مقدمة قصيدة مدح فيها، يزيد بن مزيد الشيبانى": [(١)].

أجررت حبل خليع فى الصبا غزل وشمرت همم العذال فى العـــذل

هاج البكاء عن العين الطموح هوى مفرق بين توديع ومحـــتمـــل

كيف السلو لقلب راح مختبــــلا يهـذى بصاحب قلب غير مختبل

عاصى العزاء غداة البين منهمـل من الدموع جرى فى إثر منهمـل

لولا مداراة دمع العين لانكـشفت منى سرائر لم تظهر ولم تــخـل

أما كفى البين أن أرمى بأسـهمـه حتى رمانى بلحظ الأعين النجل

إلى أخر أبيات المقدمة الغزلية التى خلص منها إلى مدح الممدوح.

---

(١) ص ١ - ٣ ديوان مسلم بن الوليد.

والأبيات رائعة فى معانيها جيدة فى مبانيها وقد أخذت شهرة واسعة وسارت أبياتها وتناقلتها كثير من المصادر والمراجع لروعتها وبراعتها . وهناك نماذج كثيرة فى ديوان الشاعر تثبت تعلقه بهذا النوع من الغزل التقليدى وإعجابه به (١).

ويمثل غزله العفيف ما قاله متغزلا فى محبوبته " سحر " التى هام بها وعشقها عشقا عظيما واستطاعت أن تأسر قلبه وتخبل لبه وتستولى على عقله وجوارحه وقد أحبها الشاعر حبا صادقا عفيفا بعيدا عن الرزيلة والمتعة الغريزية لأنها صانت نفسها ولم تذهب إليه رخيصة مبتذلة تبذل له عرضها بأى ثمن مثلما كانت تفعل غيرها الرخيصات بل إنها نجحت فى جرجله إلى أن أوقعت به فى شرك حبها وأبت عليه أن ينال منها بل وتمنعت عليه وتدللت وهجرته بعد ذلك فراح يشكو حبها ويعلن عن عذابه فى غرامها وهيامه بها فى شعر غزلى عفيف ، وذلك كقوله فيها : (٢).

أحب التى صدت وقالت لتربها	دعيه ، الثريا منه أقرب من وصلى
أماتت وأحيت مهجتى فهى عندها	معلقة بين المواعيد والمطل
ومانلت منها نائلا غير أننى	بشجوا المحبين الألى سلفوا قبلى
بلى ربما وكلت عينى بنظرة	إليها تزيد القلب خبلا على خبل
كتمت تباريح الصبابة عاذلى	فلم يدر مابى فاسترحت من العذل

ثم راح بعد ذلك يصف الخمر ويتغزل فى ساقيتها .

نرى العفة واضحة فى الأبيات والقلب المتيم المعذب الذى أضناه الحب وخبله والحب الصادق العفيف والمشاعر الجياشة الصادقة.

---

(١) ينظر ديوانه : ص ٦١ و ص ٦٩ و ص ٨٠ و ص ١٠٣ و ص ١٢١ و ص ١٤١ وص ١٧٧ وص ٢٠٠ و ص ٢١٦ و ص ٢٢٠ و ص ٢٤٩ و ص ٢٦٠.

(٢) ٣٤ - ٣٥ ديوانه . من الطويل.

ومن غزله العفيف قوله يتغزل فى " سحر " جاريته ومحبوبته: [١]

أوهتنى حب من شغفت بـــه	حتى برانـى وشفـنى الوهـن
عَنّينى حب طفلة عرضـــت	فيها وفى حبـها لى الفـــتن
كحلاء لم تكتـــحل بكاحلة	وسنانة الطـرف مابهـا وسن
ففى فؤادى لحبـها غـــصـن	فى كل حين يورق الغـصـــن
قيل لها إنه أخــو كـلــف	يحبـكـم هائم ومفتـــتن
فأعرضت للصدود قـائـلـة	يقـول ماشاء شاعـر لـســن
ماكان فى مامضـى بمـؤتمــن	علــى هوانا فكيــف يؤتمـن
حيان غضان فى الفـؤاد لـهـا	فمنهمــا ظاهر " ومـندفـن
أوطن يا " سحر " حبكم كبـدى	فليـس للحب غيرهـا وطـن
سمعت فينا مــقال ذى حســد	لما أتاكم بــه هــن وهـــن
إن كان هجرانكم يطـيب لـكم	فليـس للوصل عندنا ثمـــن

فالأبيات فيها العفة والطهارة وفيها عذاب الحب ومرارة الهجر والفراق وصد المحبوبة وعفتها وفيها الشاعر المقيم على الحب لاينثنى عنه ولايسلوه، وقد جمعت الأبيات الرقة فى الأسلوب والعذوبة والحلاوة فى الألفاظ والدقة والوضوح فى المعانى ولم يستخدم الشاعر لفظا مبتذلا أو معنى فاجرا وإنما جاءت أبياته عفيفة طاهرة تتلاءم وطهارة الغزل العفيف وسموه عن الإنحطاط والإسفاف، ولقد كان الشاعر متشبها فى أبياته بالشعراء العذريين إلى أبعد حد حيث ترددت فى أبياته معانى "جميل" و"قيس بن ذريح" و "ابن الملوح" وغيرهم من شعراء الغزل العذرى العفيف وإن لم ينهج نهجهم فى الوقوف على محبوبة واحدة بعينها فقد أحب وهام قلبه بأخريات غير "سحر" محبوبته وتغزل فيهن بخلاف الشعراء العذريين الذين أوقفوا حياتهم وشعرهم على محبوبة واحدة

---

(١) ص ١٧٤ - ١٧٥ ديوان مسلم بن الوليد . بحر المنسرح

بعينها ، وذلك لأن عصر " مسلم " يختلف إختلافا واضحا عن عصر هؤلاء فعصر " مسلم " عصر متحضر منفتح قد شاع فيه اللهو والمجون أما عصر العذريين فكان عصرا عربيا بدويا محافظا . فقد صور كل واقعه وواقع عصره الذى عاش فيه .

وللشاعر نماذج أخرى فى محبوبته " سحر " وراح يتغزل فيها غزلا عفيفا طاهرا ينحو نحو العذريين أخذا فى باله ماطرأ على عصره من تطور واختلاف حيث زاد بعض المعانى المتطورة وجاهر وصرح بحبه معلنا فى أبياته عن لقائه ووصاله بمحبوبته وسهره معها ومناجاته إياها وخلوته بها وهو مالم يكن موجودا عند العذريين فى العصر الأموى[١].

وغزله الماجن كثير أيضا فى ديوانه إلا أنه فى جملته ليس فاحشا فحش " بشار " و" أبى نواس " و " والبة " وغيرهم من شعراء عصره بل وقف فيه " مسلم " فى منتصف الطريق بين المجون الكامل والعفة الكاملة ولم يكن مبتذلا فيه شأن شعراء المجون فى عصره بل كان أخف مجونا وأقل فحشا[٢].

ويلاحظ فى غزل " مسلم " أنه أكثر من سرد القصص الغرامى فى شعره متشبها " بعمر بن أبى ربيعة " إلا أنه لم يكن متعاليا فى حبه مترفعا ترفع " عمر " فى غزله ولهذا بدا خفيف الظل عذب الحديث مقبولا [٣].

---

(١) ينظر ديوانه : ص ١٩١ - ١٩٢ وص ٢١٤ و ص ٢٠٠ - ٢٠١ وص ٢٢٦ و ص٢٧٤.

(٢) ينظر ديوانه على سبيل المثال : ص ١٤١ - ١٤٣ وص ١٨٩ - ١٩٠ وص ٢١٣ - ٢١٥

(٣) ينظر ديوانه : ص ١٩٢ وص ٢١٣ وص ٢٢٩ - ٢٢٦ وص ٢٤٩.

ويدور قصصه الغزلي في طابع عام يصور غرام رجل محب يحاول أن يمسك نفسه حتى لايقع في الرزيلة إلا أنه لايستطيع أن يتمالك فتغريه اللذة ويقع رغما عنه فيها ، كما أنه في غزله يبلغ الذروة في وصف جمال محبوباته وعشيقاته ويصور حسنهن بكل دقة وبراعة وفتنة ، ونراه في غزله يرسل الهدايا والرسائل والرسل ويتحدث عن الواشي والرقيب والحاسد مهتما بتحليل نفسيات المرأة نافذا إلى أعماقها ويصفها بصفات حسية مصورا أعضاءها مبرزا فتنتها مضفيا عليها بعض الصفات المعنوية مظهرا جمالها الخارجي مصورا زينتها وزيها وعطرها[١] كما تحدث " مسلم " في غزله عن طيف المحبوبة وزيارته[٢]".

ولقد كان " مسلم " في غزله رقيقا واقعيا يمثل حياته وداخله ونفسيته كما يمثل مجتمعه وعاداته وتقاليده ويعد مثالا حيا للحياة العباسية المضطربة بعد تداخل الأمم الأخرى في جنباتها، وغزله لايقل روعة وبراعة عن غزل الفحول من شعراء العربية - الذي يعد أحدهم - بل إنه برع فيه براعة معدومة النظير حيث فتح للشعراء من بعده سبل الغزل وأبواب الحب والهوى على مصاريعها.

والمرأة في غزله هي المرأة في شعر الفحول من شعراء الغزل : فهي كغصن البان ، غضة نضرة، واسعة العين، حوراء هيفاء ، ذات كفل ثقيل وصدر كثيب إذا مشت انسابت كما تنساب الحية ، أعلاها خفيف وأسفلها ثقيل، رائحتها جميلة، وعيونها ساحرة، وريقها كالخمر والشهد المصفى ووجهها مثل القمر وبشرتها بيضاء كالدر، طويلة القامة

---

(١) ينظر ديوانه : ص ١٩١ وص ٢٥٣ وص ٢٧٣ وص ٣٢٥

(٢) ص ٦١ وص ١٨٤ وص ٢٠٠ ديوانه.

وشعرها فاحم مسترسل ، ويجتمع معها ويحاورها ويناجيها ويتألم لفراقها ويتعذب من صدها ...الخ.

وقد طرق شعراء العصور الأدبية التالية لعصره كثيرا من صوره ومعانيه وتعاوروا عليها وراحوا يستسقون من حياضها، ولاغرو فى ذلك فقد كان الشاعر محبا غزلا صادق الهوى فجاء مبدعا فى غزله رقيقا فى مشاعره بديعا فى صوره ومعانيه رقيقا فى ألفاظه ومعانيه مبتكرا فى صوره ومعانيه.

وقصيدة الغزل جاءت عنده على أشكال عديدة: فأحيانا تأتى القصيدة فى فن الغزل وحده لايشترك معه فيها غرض آخر[١] ، وأحيانا يأتى الغزل ممزوجا بالخمر فى قصيدة بعينها [٢] وأحيانا يأتى الغزل مقدمة لقصيدة ذات غرض أصلى آخر كالمدح وغيره [٣] وأحيانا يأتى الغزل فى شكل المقطوعة الشعرية.[٤]

---

(١) ينظر ديوانه : ص ١٧٢ وص ١٨٤ على سبيل المثال لا الحصر.

(٢) ينظر ديوانه: ص ٤٤ وص ١٩٧ على سبيل المثال لا الحصر.

(٣) ينظر ديوانه: ص ٧٩ و ص ٢٢٠. على سبيل المثال لا الحصر.

(٤) ينظر ديوانه: ص ٢٧٤ وص ٢٨٨. على سبيل المثال لا الحصر.

ومن أبرز الأغراض الشعرية فى ديوانه: وصف الخمر، حيث اهتم بها اهتماما بالغا ووصفها وصفا رائعا وصف مغرم بها عاشق لها متيم بحبها، فكما تخلع فى النساء وتصابى فإنه أيضا تخلع فى الخمر وتمادى ، ولا غرابة فى ذلك فقد عاش الرجل حياته أو معظمها للنساء والخمر على السواء فبقدر ماكان مفتونا بالنساء معجبا بهن يستهويه جمالهن ويفسق معهن بقدر ماكان مفتونا بالخمر يستهويه شرابها والعب منها حتى ينتشى ويشعر بالدفء فى عروقه ، فكان مغرما بها إلى أبعد حد وأطول مدى.

من أجل ذلك احتلت الخمرة مكانة متقدمة فى شعره حيث يحتوى ديوانه على أكثر من ثلاثين قصيدة ومقطوعة شعرية وصف فيها الخمر وأدواتها ، وجاءت الخمرة فى ديوانه ممتزجة بأغراض شعرية أخرى خاصة الغزل [١] ثم مقدمة لقصيدة[٢] المدح أو الفخر وأحيانا مستقلة فى مقطوعة شعرية[٣]

وقد وصف " مسلم " الخمر باعتباره خبيرا بها وأحد جلاسها فى حاناتها وأديرتها ، فقد وصفها معتقة وممزوجة وفى الدن والكأس ووصف مجالس الشراب وما فيها من نشوة ووصف الساقى والكأس والدن والطاس والإبريق والزقاق كما وصفها " أبو نواس " صديقه وجعلها عروسا فاتنة مجوسية النسب مسلمة الصاحب ربيبة الشمس وراح يخطبها وصاحبها يغالى فى مهرها لأنها أصيلة النسب معتقة أخذت من

---

(١) ينظر ديوانه : ص ٣٣ - ٤٤ و ص ٤٤ - ٥٢ وص ١٩٧ ص ٣٤٤ على سبيل المثال.

(٢) ينظر ديوانه : ص ١٠٣ وص ١٣٠ وص ٢٠٩ على سبيل المثال.

(٣) ينظر ديوانه : ص ٣٢٩ على سبيل المثال لا الحصر.

العنب تغلى كما يغلى دم الحرورى فى الحرب ، بل إنه بدأ بها قصائده أحيانا كما فعل " أبو نواس " واستعاض بها عن المقدمة الطللية وراح يدعو إلى الاستعاضة بها عن المقدمة الطلليلة وإن لم يبلغ مبلغ " أبى نواس " فى دعوته لأن " أبا نواس " كان يقدسها لذاتها وكان شعوبيا تهجم على المقدمة الطللية العربية أما " مسلم " فقد كان يراها من دواعى لهوه وسروره ولم يكن شعوبيا كصديقه ولذا رأيناه غالبا يمزج بينها وبين الغزل فى شعره.

وقد أطلق عليها " مسلم " أسماء عديدة فى شعره : فأطلق عليها اسم : المدام والراح والصهباء والشمول والصبوح والقهوة وغير ذلك من هذه الأسماء التى أطلقها الشعراء السابقون من قبله وشبه بها ريق المحبوبة وأحيانا يجعل الريق شبيها بها ، ومن خمرياته الرائعة قوله يصفها بعد ماتغزل[1]:

ومانحة شرابهـا الملك قهــوة	مجوسية الآنسـاب مسلمة البعل
ربيبة شمس لم تهجن عروقهـا	بنار ولم يقطع لها سعف النــخـل
تصد بنفس المرء عما يغمـه	وتنطق بالمعروف ألسنة البــخـل
قد استودعت دنالها فهو قائـم	بها شفقا بين الكروم علـى رجـل
بعثنا لها منا خطيبا لبضعهـا	فجاء بها يمشى العرضنة فى مهـل
رقى ربها حتى احتواها مغاليا	عقليـته دون الأقـارب والأهــل
فوافى بها عذراء كل فتى نـدى	جزيل العطايا غير نكس ولا وغـل
معتقة لاتشتكى وطء عاصـر	حروريـة فى جوفها دمها يغـلـى
أغارت على كف المدير بلـونها	فصاغت له منها أنا مـل كالـذبـل
أماتت نفـوسا من حياة قريبـة	وفاتت فلم تطلب بتبل ولا ذحـل
شققنا لها فى الدن عينا فأسلبت	كما أسبلت عين الخريد بلا كـحـل

(١) ص ٣٥ - ٤٣ ديوان مسلم.

كأن حباب الماء حين يشجها ... لآلىء عقد فى دماليج أو حجل
كأن فنيقا بازلا شك نحره ... إذا ما استدرت كالشعاع على البزل
كأن ظباء عكفا فى رياضها ... أبا ريفها أو حسن قعقعة النبل
ظللنا نناغى الخلد فى مشرع الصبا ... علينا سماء العيش دائمة الهطل
ودارت علينا الكأس من كف طفلة ... مبتلة حوراء كالرشأ الطفل
أقامت لنا الصهباء صدر قناتها ... ومالت علينا بالخديعة والختل
وساقية كالريم هيفاء طفلة ... بعيدة مهوى القرط مفعمة الحجل
تنزه طرفى فى محاسن وجهها ... إذا احتثت الطاسات يغنى عن النقل
سأنقاد للذات متبع الصبا ... لأمضى همى أو أصيب فتى مثلى
هل العيش الا أن أروح مع الصبا ... وأغدو صريع الراح والأعين النجل

فقد وصف " مسلم " الخمرة وصفا رائعا كوصف أبى نواس " لها :
فقد وصف الخمرة وجعلها مجوسية الأنساب مسلمة البعل ربية الشمس قد غذتها فى كرمها حتى استحكم طيبها وقد استودعت دنها بين الكروم وأرسل إليها الشاعر من يخطبها وراح صاحبها يغالى فى مهرها العراقة أصلها فهى معتقة حروريه دمها يغلى فى جوفها ، ثم أخذت الساقية تدير الكأس فى المجلس وقد انعكس لونها على أناملها ثم أخذ يصور حباب الماء بعد مزجه بالخمر باللؤلؤ وصبيبها بصبيب دم انبعث من نحر جمل وأبار بقها حين وقفت منتصبة ممتدة الأعناق ملاء بالشراب كأنها ظباء أحست بحركة رام أراد صيدها ، وصور نشوة شرابها بنشوة أهل الجنة، ثم راح يصف الساقية ويتغزل فيها وجعلها ريما وهيفاء وناعمة جميلة كاملة الخلق حوراء كالرشأحين التفاته طويلة العنق غليظة الساقين وفى أخر الأبيات يرى العيش خمرا ونساء.

الأبيات رائعة فى صورها بارعة فى معانيها وتصويرها وفيها الجديد المبتكر الذى جاءت به مخيلة الشاعر، والقديم الذى تأثر به ممن

سبقه من الشعراء، وأضفى عليها من خياله وفنه، وقد أعجب الخليفة " هارون الرشيد " بهذه الأبيات واهتز لها طربا عند سماعها ، بل كان يحفظها ويرويها في صغره كما قال " أبو الفرج الأصفهاني " وللشاعر نماذج أخرى رائعة من هذا القبيل(١)

ومسلم بن الوليد كزميله أبي نواس – قدجعل من الخمرة ووصفها مقدمة لقصيدة المدح أو الفخر واستعاض بها عن المقدمة الطليلة(٢)، حيث كان أبو نواس زعيم الداعين إلى ترك المقدمة الطللية والاستعاضة عنها بوصف الخمر وذهب في ذلك إلى بعد مدى. (٣)

وحقا لقد كان . مسلم بن الوليد من أساتذة شعر الخمر ووصفها في عصره بل والعصور الأدبية المختلفة وبرع في وصفها وأجاد إجادة عظيمة وفتح المجال واسعا لمن جاء بعده من الشعراء الذين تأثروا بمعانيه وصوره فيها إلاّ أنه على أية حال لم يكـن متفوقا فيها على " أبي نواس" فأبو نواس زعيم الخمرة على الإطلاق في الشعر العربي ويعقبه "مسلم بن الوليد".

ومن بين الأغراض التي برزت بوضوح في ديوان " مسلم بن الوليد": وصف الطبيعة بنوعيها : الصامت والحي فقد وصف الأطلال والديار ووصف النجوم والأفلاك والليل ، ووصف الروضة والأزهار والورود ووصف البحر والسفينة والصحرا ووصف المعارك ووصف الشيب والشباب ووصف الخاتم ووصف الهدية ووصف الناقة والفرس(٤).

---

(١) ينظر ديوانه : ص ٤٦ - ٥٢ و ص ١٨٩

(٢) ينظر ديوان: ص ١٣٠ وص ٢٠٩ وما بعدها ، ص ٢١٦ وص ٢٤٠ وص ٢٧٩

(٣) ينظر ديوانه : ص ٥٥١ وصو ص٥٥٢و ص٦٩٢.

(٤) ينظر ديوانه: ص ١ وما وص ٥٨وما وص ٧٣وما وص ٨٨وما وص ١٠٥ وما بعها وص ١٥٤ وما بعدها وص ٢٣٠ و ص ٢٣٨ وص ٢٥٣ وما وص ٢٥٨ وما بعدها وص ٣٢٤ - ٣٣٦

وكان - كشأنه - بار عافى وصفه رائعا فى تصويره مجددا فى معانيه ولم يقف عند حدود وصف القدماء لها بل جدد فيه وأضاف أوصافا ومعان كثيرة فضلا عن تأثره بمعانى وأوصاف الأقدمين.

وقد اهتم " مسلم فى وصفه للطبيعة الحية - بالغوص فى أعماقها ونفسياتها وإضفاء بعض المعانى الانسانية عليها وينجلى ذلك بوصوح تام فى وصفه للناقة فى أكثر من موضع فى ديوانه، وقد اهتم أيضا بإبراز الصورة إبرازا) واضحا بالاعتماد على المحسنات البديعية والإكثار من رسم اللوحات الفنية التى دبجها بالتشخيص والتجسيم ، ونحس فى وصفه حركة وحياة تشيع فى كل جزئية من صوره ويعد وصف السفينة والناقة أهم موضوعين أهم بهما الشاعر من بين أوصافه فى الطبيعة وأجاد فى وصفها إجادة تامة.

كذلك يعد شعرالرثاء من أهم الأغراض الشعرية التى عرفها شعر الشاعر وإن كنا نشك فى أن ماحواه ديوانه من رثاء هو كل رثائه فذلك لايتفق مع مكانة " مسلم " ومدى الصداقة القوية التى كانت تربطه بكثير من عظماء الدولة العباسية ورجالاتها وأعيانها وأدبائها.

وقد عرف رثاؤه الرثاء السياسى الذى يتعلق برجال الحكم والسياسة والرثاء الاجتماعى وهو مارثى به أهله وأصدقاءه ، فقد رثى " يزيد بن مزيد الشيبانى " وبرع فى رثائه أيما براعة ومن رثائه فيه قوله: (١)

أحق أنه أودى يزيد	تأمل أيها الناعى المشيد
أحامى المجد والأسلام أودى	فما للأرض ويحك لاتميد
تأمل :هل ترى الإسلام مالت	دعائمه وهل شاب الوليد؟
أما هدت لمصرعه نزار؟	بلى وتقوض المجد المشيد

(١) ص ١٤٧ - ١٤٩ ديوانه

وحل ضريحه إذ حل فيه طريف المجد والحسب التليد
أما والله لاتنفك عيني عليك بدمعها أبدا تجود
أبعد يزيد تختزن البواكى دموعا أو تصان لها خدود ؟
لتبكك قبة الإسلام لما وهت أطنابها ووهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر له نشبا وقد كسد القصيد

إلى آخر الأبيات وكلها تفيض لوعة وحسرة على القائد العربى المسلم الفقيد " فقيد العروبة والإسلام" كما رثى جعفر [1] البرمكى ورثى زوجته[2] ورثا الأشراف[3] وسهل بن[4] الصباح" ورثى نفسه[5] ورثى حماد بن سيار[6] وغير ذلك[7] ومن أروع ما قيل فى الرثاء قوله فى رجل :[8]

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

وقد قيل إن هذا البيت أرثى بيت قالته العرب " .

كذلك عرف مسلم شعرالهجاء بلونيه : السياسى والاجتماعى ، فقد هجا "يزيد بن مزيد الشيبانى "[9].و " موسى بن خازم بن خزيمة[10] و " العباس بن الأحنف "[11] و " وسعيد بن سلم "[12] وهجا قنبرا

---

(١) ص ٢٧٦ ديوانه.
(٢) ص ٣٤١ ديوانه.
(٣) ص ٣٠٧ ديوانه
(٤) ص ٣٢٦ ديوانه
(٥) ص ٣٤٣ ديوانه
(٦) ص ٢٢٨ ديوانه
(٧) ص ٣١٧ ص ٣٢٦ ديوانه
(٨) ص ٣٢٠ ديوانه
(٩) ص ٣١٠ ديوانه
(١٠) ص ٢٣٨ ديوانه.
(١١) ص ٢٥٨ وما ديوانه.
(١٢) ص ٧٠-٢٧١ ديوانه.

الشاعر"[١] و " دعيلا الخزاعى"[٢] " الشاعر وهجا قريشا"[٣] "ومحمدابن أبى أمية"[٤] وغيرهم.

وقد اعتمد "مسلم بن الوليد" فى هجائه على إظهار المساوئ والعيوب والسخرية الشديدة ممن تعرض له بالهجاء وراح يحط من شأنه ويحقره ويصل فى ذلك إلى أدنى حد فى السخرية والاستهزاء .

كما عرف مسلم شعر الفخر حيث افتخر بنفسه وراح يثبت لها الصفات المثالية التى يتمتع بها الإنسان من عزة وأنفة وشمم وإباء كما راح يفخر بنسبه الأنصارى وبشاعريته الفذة، فضلا عن افتخاره بقومه الأنصار الذين ينتمى إليهم [٥]. كما عرف الحكمة[٦] والعتاب [٧] والألغاز.

---

(١) ص ٣٤٣ ص ٣٢٢ ديوانه.

(٢) ص ٣٣٤ ديوانه.

(٣) ص ٣١٥ وما بعدها.

(٤) ص ٢٨٢ ديوانه.

(٥) ينظر ديوانه : ص ١٣٠ وما بعدها وص ٢٤٧ وما وص ٣١٥ وما بعدها.

(٦) ص ٢٩٣ وص ٢٩٧ وص ٢٩٨ ديوانه.

(٧) ص ٩٩ و ص ٢٨٤ ديوانه.

الفصل الثالث

" المدح فى شعر مسلم "

يعد المدح من أهم الأغراض الشعرية التى عرفها الشعر العربى وأكثرها شيوعا فى دواوين الشعراء منذ العصر الجاهلى، فقد وجد المدح فى شعر الجاهليين بكثرة حيث كانوا يمدحون زعماء القبائل وفرسانها وكبار الشخصيات التى برزت فى عصرهم، وراحوا يشيدون بمعان وصفات تتناسب وقيم مجتمعهم وعاداته فتراهم يصفون الممدوح بالقوة والمغامرة والاقبال على الشهوات والغضب والقهر والخداع وغير ذلك فضلا عن بعض المعانى الإنسانية الفاضلة مثل: الكرم والشجاعة ومراعاة حقوق الجار والعدل والعفة والإصلاح بين الناس وغير ذلك مما هو معروف فى مدائح الشعراء الجاهلين .

وفى العصر الإسلامى ظل المدح من أهم الأغراض الشعرية بجوار شعر الدعوة الإسلامية ومؤازرة الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته ، ونستطيع القول بأن شعر المدح فى العصر الإسلامى قد تطور فى معانيه ومبانيه على السواء، فقد وجدت المعانى الإسلامية المحضة بكثرة فى مدائح شعراء العصر وأكدوا عليها تأكيدا واضحا فى مديحهم ويتجلى ذلك بوضوح فى مدائح "حسان بن ثابت" للرسول صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الراشدين من بعده.

ثم اتسع مجال المدح اتساعا واضحا فى عصر "الأمويين" وإنتشر إنتشارا كبيرا فى دواوين شعراء العصر وقلما نجد ديوانا يخلو من شعر المدح سواء كان مدحا سياسيا أم مدحا إجتماعيا.

ثم انتشر شعر المدح انتشاراً واسعا فى العصر العباسى الأول بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين ووزرائهم وقوادهم للشعراء وإغداق الأموال الطائلة عليهم مقابل مدائحهم وقلما نجد شاعرا عباسيا لم ينظم فى شعر المدح، حيث أصبح سلعة تباع وتشترى ومصدر دخل ورزق لكثير من شعراء العصر ومن بينهم "مسلم بن الوليد ".

ولقد تطور شعر المدح منذ العصر الإسلامى عما كان عليه من قبل فى العصر الجاهلى: من وصف الممدوح بالفتوة والقهر والغصب وشرب الخمر والمقامرة والسلب والنهب وغير ذلك من هذه المعانى والأوصاف القديمة التى نهى عنها الدين الإسلامى وأحل محلها الشعراء الإسلاميون المعانى والأوصاف الإسلامية من: العدل والتقوى والعفة والحق والعفو والزهد وغير ذلك من المعانى الإسلامية التى وجدت لأول مرة فى شعر المديح بعد ظهور الإسلام .

وليس معنى ذلك أن كل المعانى والأوصاف الجاهلية كانت خالية من الفضائل والمكرمات بل كان هناك أيضا كثير من المعانى الفاضلة وقد لخصها قدامة بن جعفر فى أربع فضائل : هى العقل والعفة والعدل والشجاعة". (١)

وقد استمر وجود هذه المعاني الفاضلة وماتفرع منها فى كل العصور الأدبية المتتالية حتى العصر العباسى ومابعده .

" ولقد ظهر التخصص في شعر المدح بعد أن تشعبت الحياة الفكرية وتعقدت من ناحية معانية حيث جعل الشعراء لكل ممدوح معانى وصفات خاصة به تتفق مع مكانته وموقعه السياسى والإجتماعى والعسكرى ، فالكاتب والوزير يمدحان بحسن الروية وسرعة الخاطر بالصواب وشدة الحزم وقلة الغفلة وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه فى المعضلات بالرأى وبأنه محمود السيرة لطيف الحس فإن أضاف الشاعر إلى ذلك مدحه بالبلاغة والخط والتفنن فى العلم بلغ الغاية وأفضل مامدح به القائد: الجود والشجاعة وماتفرع منهما مثل الإفراط فى النجدة

(١) ص ٥٩ نقد الشعر لقدامة بن جعفر.

وسرعة البطش وماشاكل ذلك. ويمدح القاضى بمايناسب معانى العدل والإنصاف والمساواه بين الفقير والغنى وإنبساط الوجه ولين الجانب وتقريب البعيد فى الحق ...فإن زاد الشاعر إلى ذلك ذكر الورع والتحرج وماشاكلهما فقد بلغ النهاية" (١)

وهكذا وجدت الصفات والمعانى المتخصصة تبعا للممدوح موضوع النص فضلا عن وجود الصفات العامة المشتركة التى تجمع بين كل الممدوحين.

ومسلم بن الوليد من بين شعراء العصر العباسي الأول الذين اتخذوا الشعر وسيلة رزقهم فقد كان من المتكسبين بالشعر طوال حياته وعاش بسببه فكان مصدر دخله وذلك لأنه عاش حياته الأولى فقيرا فى بيت متواضع ووسط أسرة رقيقة الحال فكان كل همه أن يصل إلى الوزير والأمير والقائد بل والخليفة يمدحهم حتي ينال جوائزهم وعطاياهم خاصة وأنه رأى من هو دونه من شعراء عصره يتصلون بالوزراء والخلفاء والقواد يمدحونهم وينالون حظوة عندهم.

من أجل هذا - وغيره - إحتل شعر المدح فى ديوانه المرتبة الأولى بين أغراض شعره المختلفة وحاز مدحه النصيب الأوفى والجزء الأكبر من ديوانه فربما وصل بمفرده إلى أكثر من نصف شعره الذى وصل إلينا فضلا عما ضاع من شعره فى المدح فقد ضاع منه الكثير لأن ما وصل إلينا من مدائحه لايتفق مع مكانته ومكانة شاعر قضى حياته كلها متكسبا بشعره واتصل بالخلفاء والوزراء والقواد والأمراء إتصالا طويلا ووثيقا.

---

(١) ص ١٠٧ -١٠٨ جـ٢ العمدة لابن رشيق . وص ٣٧٠-٣٧١ إتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى د/مصطفى هدارة . دار المعارف ١٩٦٣م.

ومدائح مسلم تعد فى الذروة لامن شعره وحده بل من شعر عصره العباسى والشعر العربى كله قديمه وحديثه، فهى بمثابة ملاحم شعرية رائعة تصور الحياة السياسية والعسكرية والحروب والأحداث فى عصره تصويرا رائعا خاصة وأنه كان يستشعر فيها كل خصائص فنه ومعانى العروبة والإسلام إلى حد بعيد، فكانت قصائده فى المدح هى القطع المتوهجة من شعره بل من الشعر العربى كله وحلقت فى أسمى أفق الشعر العربى .

ومدائح مسلم بن الوليد تتطابق مع حياته وتمثل ثقافته الواسعة خاصة ثقافته اللغوية – وتمثل طموحه وآماله وواقع مجتمعه الذى عاش فيه.

وقد صاغ مسلم شعره فى المدح صياغة فنية تتجلى فيها روح القوة والحياة، فمدائحه قوية فى ألفاظها وأسلوبها ومعانيها على السواء حيث أفاضت روح القوة فى نفسه وثقافته علي شعره وفنه.

وقد اتصل " مسلم بن الوليد" بكثير من رجالات الدولة العباسية ومدحهم فقد مدح الخلفاء والوزراء والقواد والأمراء والكتاب فضلا عن الأصدقاء والإخوان وتبعا لذلك جاءت أشعاره فى المدح على طرق مختلفة حيث كان فى مدحه يمدح الشخص مراعيامنصبه وموقعه السياسى أو الإجتماعى أو العسكرى الذى يشغله فاختلفت لذلك نفسيته فى مدحه.

وبناء على ذلك فإننى أستطيع أن أقسم شعره فى المدح إلى قسمين يغاير كل قسم منهما القسم الآخر فى طبيعة الشعر الذى يسلك فيه ...

١- المدح السياسي: وهو الذى يتناول رجال الحكم والسياسة فى الدولة... من خلفاء ووزراء وقواد وولاة وغيرهم من رجال الدولة حيث تطغى المعانى السياسية والصفات التى تلائم المنصب السياسى الذي يشغله الممدوح على معانى المدحة.

٢- المدح الإجتماعى : وهو الذي يتناول الشخصيات الإجتماعية العامة فى المجتمع حيث تطغى المعانى والصفات العامة على المدحة ...فضلا عما يضم كل منهما من معان مشتركة عامة تشمل القسمين معا وتشيع فى مدائحه كلها بوجه عام.

أولا : المدح السياسى ويضم مدح الخلفاء والوزراء والقواد وكبار رجال الدولة وأقسمه قسمين :

أ- مدح الخلفاء :

منذ أن وثق الشاعر فى شاعريته وتمكن منها رنت عينه إلى باب الخليفة العباسى " هارون الرشيد" وتمنى الوصول إليه ومدحه، خاصة وأنه رأى من هم دونه من الشعراء يتصلون بالخليفة ويمدحونه وينالون جوائزه وعطاياه الثمينة - فرحل من الكوفة إلى بغداد - التى كانت مواطن الفحول من الشعراء - وأقام فها مدة يمدح الأمراء والرؤساء أول الأمر مقتنعا باليسير من العطاء وحينما رأى من هم دونه من الشعراء يدخلون على الخليقة ويمدحونه وينعمون بجوائزه السخية - أمثال : مروان ابن أبى حفصة وأبى العتاهية وأبى نواس وغيرهم - ساءه ذلك وآلمه خاصة وأنه كان يرى أنه يملك من قوة الشاعرية وخصبها أكثر مما يملك هؤلاء الشعراء الذين كانوا ينعمون فى ظلال الخليفة ويعيشون فى رحابه وظل على غيظ إلى أن حقق الله له ماأراد وتمكن من الدخول على الخليفة "هارون الرشيد" على يد منصور بن يزيد الحميرى - كما وضحنا من قبل

- حيث أدخله عل الخليفة فأسمعه قصيدته الخمرية التى أعجب بها "هارون " وسماه بسببها " صريع الغوانى " ثم تتابع دخوله على الخليفة وإنشاده ومدحه ونال جوائزه ومنحه الثمينة وعاش فى كنفه وفى رغد من العيش .

وقد مدح " مسلم " هارون الرشيد " - كما ورد فى ديوانه - بأربع قصائد ولكننا نرجح أن هناك مدائح أخرى غير هذه الأربع مدح فيها مسلم خليفته خاصة وأن الشاعر قد عاش فى رحاب الخليفة مدة طويلة وكانت العلاقة بينهما علاقة وطيدة فضلا عن حب " الرشيد " لشعر الشاعر وإعجابه وتعلقه به لدرجة أنه كان يحفظ كثيرا من شعر " مسلم " ويرويه فى مجالسه وأمام قواده ووزرائه والذى يحضرون مجالسه من العلماء والنقاد والشعراء.

ومن مدائحه فى " الرشيد " قصيدته التى استهلها بمقدمة غزلية تغزل فيها بمجبوبته ثم وصف الناقة والصحراء على عادة الشعراء القدامى من التمهيد للمدح بهذه المقدمة التمهيدية التى استحوذت على الجزء الأكبر من أبيات القصيدة ، فقد احتلت المقدمة نحو ثلاثين بيتا من مجموع الأبيات التى تبلغ الأربعين وجعل للمدح - وهو الغرض الأصلى للقصيدة - عشرة أبيات فقط ، حيث طغت المقدمة على الغرض الأصلى للقصيدة طغيانا واضحا ، ثم يخلص منها إلى مدحه فيقول: [(١)]

تراءت له الأحداث حتى إذا اقتنى	رجاءك صدت عنه عن قرب معهد
وقفت على النهج الظنون فصرحت	وأدى إليك الحكم كل مشرد
إذا اختلفت أهواء قوم جمعتهم	على العفو أو حد الحسام المهند

(١) القصيدة : ص ٦٩ - ٧٩ ديوان مسلم . بحر : الطويل.

إذا انجحروا جلى بخوف عليهم ... وإن أصحروا كانوا فريسة مرصد [١]

بكل سبوح فى العجاج كأنما ... تكنف عطفيها جناحا خفيدد [٢].

إذا هن غامسن الدجى بغنيمة ... قسمن السرى فى كل سهل وأجلد [٣]

كأن أكف القوم مثني وموحدا ... تعاطين جاديا على ظهر قرمد [٤]

تحيوا بأطراف القنا وتعانقوا ... معانقة البغضاء غير التودد [٥]

وفاجأته قبل الوعيد بحتفه ... وقد عجزت عنه عسي وكأن قد [٦]

وخافك حتى صار يرتاب بالمنى ... ويتهم نجوى النفس عند التوحد [٧]

نرى الشاعر يمدح الخليفة ويصفه بمعان وأوصاف قديمة معروفة، حيث يصفة بالقوة والشجاعة والحزم فى موضعه والعفو فى موضعه وأنه استطاع بقوته أن يقلم أظفار كل خارج على الدولة وأنه سديد الرأى أعماله تسبق أقواله وأن الخليفة شديد البأس تخشى سطوته دائما.

وقد جاءت الأبيات قوية فى ألفاظها وأسلوبها ومعانيها، ويكثر الشاعر من استخدام الألفاظ المعجمية التى لانخبرها دون الاطلاع على معاجم اللغة، وألفاظ الأبيات وتراكيب العبارات لاتفترق فى قليل أو كثير منها عن ألفاظ الجاهليين وتعبيراتهم فكأن قائلها شاعر جاهلى بدوى "كامرىء القيس " والأعشى" وزهير" وهى فى مجموعها ألفاظ قوية تلائم فن المدح فى قوته.

---

(١) انجحروا: دخلو. حلى. : طلع.
اصحروا بروزوا إلى الصحراء.

(٢) السبوح : الفرس السريع . العجاج: الغبار.الخفيدد: ذكر النعام.

(٣) غامسن : دخلن. أجلد :وعر . والأجلد : الموضع الغليظ المتوعر من الأرض .

(٤) جاديا : زعفرانا . القرمد : ضرب من الآجر .

(٥) القنا : الرماح .

(٦) عسى وكأن قد : أى عسى أن أنجو وكأنى قد نجوت .

(٧) نجوى النفس : حديثها . عند التوحد: عند الانفراد.

والحق:أن مسلما كان نبعا كبيرا من ينابيع الشعر وهو نبع كان يتدفق من نفس قوية صلبة وثقافة بدوية عريقة وبدا ذلك فى لغته وأسلوبه ومعانيه وصوره بل والنهج الذى انتهجه فى شكل القصيدة، فقصيدته تقليدية فى الشكل والمضمون وفى المبانى والمعانى وإن بدت جديدة فى أسلوبها وصورها وأخيلتها.

ومن مدائحه فى " هارون الرشيد" قصيدته التى ابتدأها بقوله: (١)

قد أطلعت على سرى وإعلانى   فاذهب لشأنك ليس الجهل من شانى
إن التى كنت أنحو قصد شرتها   أعطت رضى وأطاعت بعد عصيان

وهى مدحه استهلها مسلم بمقدمة تمهيدية تحدث فيها عن لهوة وخمره وتغزل فيها بجاريته فوصف محاسنها وأبرز مفاتنها وقص حكايته معها وقد صور فى هذه المقدمة حياته اللاهية الشخصية التى قضاها بين الخمر والنساء إلا أنه لم يفحش فيها ولم يمعن فى المجون ولم يصرح بسوءات أو معانى وصور تخدش الحياء، ثم أخذ يصف الناقة التى امتطاها إلى ممدوحه فقال :

إلى الإمام تهادانا بأرحلنـــا   خلق من الريح فى أشباح ظلمان (٢)

ثم أخذ يصف الناقة بعد ذلك مصورا سرعتها وقوتها وأنها أوصلته إلى ممدوحه الذى :

لم يغمد السيف مذ نيطت حمائله   يوما ولاسله إلا على جان (٣)

---

(١) ص ١٢١-١٢٩ ديوان . مسلم بن الوليد . من بحر : البسيط .
(٢) خلق من الريح : يعنى : النوق . والظلمان : ذكور النعام.
(٣) نطت حمائله : أى علقت .

حيث يعنى أن أمير المؤمنين "هارون الرشيد" لم يغمد سيفه عن القتل لمن يستحق ذلك ولاسله إلا على من إرتكب جناية يستحق فيها القتل.

ونلاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعر لم يمدح ممدوحه إلا ببيتين اثنين فقط وجعل بقية القصيدة التى تبلغ سبعاً وعشرين بيتا للغزل والخمر ووصف الناقة .ويبدو أن بقية أبيات المدح قد ضاعت ولم تصل إلينا لأنه لايعقل أن يمدح الشاعر ممدوحه الخليفة ببيتين اثنين بينما يمهد لها بخمسة وعشرين بيتا.

والشاعر - كشأنه دائما فى مدائحه - قوى فى ألفاظه وأسلوبه ومعانيه، ونلاحظ أنه وصف " الرشيد " بأنه " الإمام " وهو وصف يلائم الممدوح ويوافق مكانته ومنصبه.

ومن مدائحه فى " هارون الرشيد " مدحته التى استهلها بذكر الشيب والشباب وجعل الحديث عنهما مقدمة لقصيدته وتمهيدا لها حيث يقول :[1].

عاود عزاءك لايعنف بك الذكر ماذا الذى بعد شيب الرأس تنتظر

هذا الشباب له فى شرة أنـف دون الثلاثين مجلوب به الشـرر

أهلة فوق أغصان علـى كثب كأنها صور تمشى بها البقـر

ويستمر فى حديثه عن الشيب والشباب إلى أن خلص إلى مدح الخليفة بقوله :

خليفة الله إن النصر مقتصر عليك مذ أنت مبلو ومختبـر

أعددت للحرب سيفا من بنى مطر يمضى بأمرك مخلوعا له العـذر

لاقى "بنو قيصر" لماهممت بهم مثل الذى سوف تلقى مثله " الخزر"

---

(١) ص ٢٥٣-٢٥٤ ديوان مسلم بن الوليد . من بحر : البسيط.

لقد بعثت إلى خاقان "جائحـــة	خرقاء حصاء لاتبقى ولاتـذر
أظلهم منك رعب واقف بهـــم	حتى يوافق فيهم رأيك القـدر
أمضى من الموت يعفو عند قدرته	وليس للموت عفو حين يقتـدر
ما إن رمى بالمنى فى ملكه طمـع	ولا تخطاه التأييـــد والظفـر

نرى الشاعر فى مدحه لممدوحه : يجعله " خليفة الله" الذى أخلفه خليفة له فى أرضه فهو الخليفة الحق الذى اختاره الله - وكأنه بذلك يرد على خصوم العباسيين الذين يدعون الخلافة ويزعمون بأحقيتهم فيها من خوارج وشيعة وغيرهم، وهذا من قبيل مزج المدح بالسياسة وكان هذا شائعا فى العصر العباسى شيوعا واضحاولكنه كان موجودا من قبله، خاصة فى العصر الأموى.

وقد وصف الشاعر ممدوحه بأن النصر مقتصر عليه وأنه أعد للحرب قائدا عظيما يمضى مؤتمرا بأمر الخليفة وهو " يزيد بن مزيد الشيبانى"، وأن الخليفة شديد البأس يرهبه أعداؤه ويرعبون منه وأنه سديد الرأى ويوافق القدر رأيه وأنه أمضى من الموت وأنه يعفو عند المقدرة شديد فى موضع الشدة وأنه دائما يهاب لايطمع أحد فى ملكه وأنه دائما مؤيد بنصر الله وتأييده .

والشاعر فى أبياته قوى " فى ألفاظه متين فى أسلوبه رائع فى معانيه إلا أنه يلاحظ فى هذه الأبيات خلوها من الألفاظ الغريبة ، وتظهر فيها مبالغة الشاعر فى مدح ممدوحه وذلك حينما جعل النصر مقتصرا عليه وحده وأن القدر يوافق رأيه وينزل عليه.

والمدحة الرابعة التى مدح بها " هارون الرشيد" هى التى استهلها بوصف الخمر وجعل المقدمة تمهيدا لها وذلك كان شا ئعا فى مقدمة القصيدة فى العصر العباسى الأول حيث أحل الشعراء المقدمة الخمرية

محل المقدمة الطللية والغزلية وكان مسلم بن الوليد من بين شعراء العصر الذين دعوا إلى ذلك وإن لم يبلغ فى دعوته مابلغه أبو نواس زميله الذي ذهب الى حد بعيد فى هذه الدعوة.

وقد بدأ قصيدته هذه بقوله: (١).

هات اسقنى طال بى الحبس من قهوة بائعها وكسى (٢)

زقية الدار رصافيــــة أغلى بها الشماس والقس (٣)

كأنها فى الكاس ياقوتــه وهى إذا مـامزجت ورس (٤)

فى مجلس للقصف ريحانه عين المها والبقر اللعـس (٥)

وغادة كالبدر ممكـــورة خالطني من حبهـا مس (٦)

ألسنة الشرب إذا ماجرت كأنها ألسنة خـــــرس

حيث استهل قصيدته بوصف الخمر ومجلسها ومزجها بالغزل على الرغم من أنه يمدح خليفة المسلمين وإمام الأمة.

ثم تخلص الشاعر من مقدمته إلي مدح الخليفة وأخته " العباسة " بقوله:

"هارون " بدر لبنى " هاشـــم " وأخت : هارون " لهم شمس

---

(١) ص ٢٧٩-٢٨٠ ديوان مسلم بن الوليد. من بحر : السريع.

(٢) الوكس : الدنيء .

(٣) القس : القسيس .

(٤) الورس : زعفران اليمن .

(٥) اللعس : الحمر الشفاة مع سواد .

(٦) الغادة : المرأة الناعمة اللينة. المكورة : الطويلة الخلق وقيل : المطوية الخلق من النساء وقيل : المستديرة الساقين.

لايبرح الزوارمن بابهـــــا	كأنما ضمهم عــــــــرس
حللت فى الذروة من هاشــــم	طاب لها المنبت والغـــــرس
يا أخت " هارون " أبوك الذى	يقصر عنه القول والحدس (١)
طاب لك العيش على يومـــه	هذا الذى يحسده أمـــس
قد فصد العرق إمام الهـــدى	فى ساعة جانبها النحس (٢)
فى مجلس تمت لذا ذاتـــــه	يعجز عنه الجن والإنـــس
أعقبه الله سرورا بـــــــه	وقرت العينان والنفـــس

حيث يضمن الشاعر مدحته شخصين اثنين " هارون " وأخته ويمدحهما معا فى قصيدة بعينها، وراح يشيد بهما فى أبياته، " فهارون " بدر " بنى هاشم" أما أخته العباسة " فهى شمسهم وفى الذروة منهم فهى طيبة المنبت والغرس، ثم يصف الشاعر " الرشيد" بأنه إمام الهدى ويهنىء أخته بشفائه من الحجامة ويدعو للخليفة بالسرور وقرار النفس والعين.

ومن الخلفاء العباسيين الذين مدحهم " مسلم بن الوليد " الخليفة العباسى " محمد بن هارون الرشيد " الملقب " بالأمين "، وقد وردت قصيدة واحدة فى ديوان " مسلم " فى مدح "الأمين " وهذا غير معقول أن يمدح الشاعر خليفته بقصيدة واحدة وهو الذى عاش فى كنفه مدة طويلة وأحبه بكل مايملك وآذره وناصره وظل بجواره يشيد بجهوده وانتصاراته المتعددة وإننا لانستطيع إلا أن نقول إن مدائحه فى" الأمين" قد ضاعت ولم يصل إلينا منها إلا قصيدة واحدة.

---

(١) الحدس : التخمين.

(٢) فصد العرق : شقه.

ومدحة " مسلم " في الأمين " إختلفت في نهجها عن مدائحه في "الرشيد" حيث استهلها بالدعوة إلي ترك البكاء على الأطلال وإنشغاله بغيرها لأن الديار قد خلت من الأحبة سكانها فهي لاتستحق أن يبكى عليها الشاعر ولايبالي بها بعد خلوتها من أهلها وتغير الأمطار لمعالمها وأحق منزلة بالترك منزلة غاب عنها الحبيب، وفي ذلك يقول :(١).

شغلي عن الدار أبكيها وأرثيهـا	إذا خلت من حبيب لي مغانيهـا
دع الروامس تسفي كلما درجـت	ترابها ودع الأمـطار تبليها (٢)
إن كان فيها الذي أهوى أقمت بها	وإن عداها فما لي لا أعديهـا
أحق منزلة بالترك منزلـة	تعطلت من هوى نفسي نواديها (٣)

ثم راح الشاعر يصف الخمر ويتغزل في ساقيتها ويمزج بينهما في مقدمته وذلك في نحو أربعة عشر بيتا خلص منها الشاعر إلى مدح "الأمين " بقوله:

لولا " الأمين " الذي في الأرض ماإختلست	بنات لهوى إذا عنت غواشيهـا
خليفة الله قد ذلت بطاعتـه	صعر الخدود برغم من مراقيهـا
أحيت يداه الندى والجود فانتشـرا	في الأرض طرا وجالا في نواحيها
عمت مكارمه الدنيا فأولهـا	تهدى نداه إلى أخرى أقاصيهـا
كم من يد " لأمين الله " لو شكـرت	لقصر النفس عن أدنى أدانيهـا
فتى تهين رقاب المال راحتـه	إذا أتاها مريد المال يبغيهـا
يمنى يديك لنا جدوى مطبقـة	هذا السحاب بأعلى الأفق يحكيها

(١) ص ٢١٦ - وما ديوان مسلم من بحر : البسيط .

(٢) الروامس : الرياح الدوافن للآثار . وتسفي : تذر

(٣) النوادي : المجالس.

حيث راح " مسلم " يمدح " الأمين "ويشيد بكرمه وجوده فى أبياته ويرى أن يديه هى التى أحيت الندى والجود بعد أن فنيا وانتشرا فى الأرض وفى كل جانب من جوانبها ، وأن الخليفة قد عم الدنيا كلها بكرمه وعطاياه ونال من جوده القاصى والداني من أهلها ، وأن الخليفة جواد لايعبأ بمال ولايهتم بجمعه وأنه يعطى كل مريد وأنه يشبه السحاب فى جوده وعطائه.

ثم راح الشاعر بعد ذلك يصفه بكرم الأصل وطيب المنبت وعراقة النسب وأن الخليفة ينتسب إلى " قريش " وبيته من أعاليها كرما ومكرمة، ويرى أن الخليفة فاق الخلق جميعا فى عصره كما فاق آباؤه الأولون أعصرهم وأنه شيد بيته على المكارم والعلياء وأنه سباق إلى المكارم والفضائل لايسبقه أحد فى غاية مكرمة، ويرى أنه خليفة الله الذى لاتحصى فضائله وأنه لايجاريه ولايدانيه ملك من ملوك الأرض وأن مكارمه نالت النجوم العالية واتصلت بها بينما قصر عنها من يساميها ، وأنه أكرم الناس إذا قصده الراجون ويطمئن الناس من صروف الدهر وهم بجانبه وأن الإمام الممدوح يفوق الورى طرا نسبا وحسبا وأن أباه " هارون الرشيد " قد أحيا المكارم ويضيها ولده " الأمين " فى الناس : فيقول فى ذلك .

حلت" قريش " العلامن كل مكرمة   وحل بيتك فى أعلى أعاليها

فقت البرية من كهل ومن حــــدث   وفاق آباؤك الماضون ماضيهـــا

شيدت بيتك فى علياء مكــــرمة   يقصر النجم عن أعلى مراقيها

مايسبق الناس فى غايات مكرمة   إلا وكفك دون الخلق تحويهـــا

خليفة الله لو عدت فضائلــــــه   إذا لقل من الحساب محصيهـــا

جاري"الأمين " ملوك الناس كلهم   فما تقدم سبقا فى مباديهـــا

نالت مكارمك العيوق فاتصـلت | به وقصر عنها من يساميـها [١]
يا أكرم الناس إذ ترجى لنائبـة | جاءت بها حادثات الدهر تهديها
لسنا نخاف صروف الدهر ماعلقت | أكفنا بحبال منك تمر يهـا [٢]
كافى الإمام الورى طرا بأجمعـها | وفاقهم ببيوت المجد يبنيهـا
رآك ربك أهلا إذ حباك بهـا | فابق ودم بسرور ناعما فيهـا
أحيا المكارم " هارون " وأثبتهـا | وأنت فى الناس ياابن الغر تمضيها

ثم راح الشاعر يشيد بعد ذلك بقوته وأعماله العظيمة فى سبيل توطيد الملك وتثبيت دعائمه وتقليم أظفار الخارجين والبغاة ، ويري أن الخليفة قد سدد الضربات تلو الأخرى نحو أعدائه فأهلكهم قبل أن يدركهم راق يرقيهم، وأن الخليفة بيده الأمر فيستطيع أن يمحو ويقتل من يشاء من الأعداء، ويعفو عنهم بعد الإقتدار فكأنه يحييهم، وأنه بقوته وشجاعته إستطاع أن يطفىء نيران الأعداء المشتعلة التى أشعلوها ضد الإسلام وأن الله تعالى قد بعثه رحمة للمسلمين وأنقذهم من نيران أعدائهم، وأن الله دائما يعزه وينصره فما ضاع قوم ملكهم ولاضاعت بلاد تولاها ، فيقول فى ذلك :

يامثبت الملك إذ زالت دعائمـه | وثار بالفتنة العمياء باغيهـا
كم طعنة لك فى الأعداء مهلكـة | نجلاء تعجلهم عن نفث راقيها [٣]
لما غدوت إلى الأعداء مطلعـا | غير الجبان عليها لاتباليهـا
قسمت فيها منا ياغير مبقيـة | وقمت عند نفوس الحق تحييهـا

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولايتقدمها.

(٢) تمريها : تمسحها .

(٣) نجلاء : واسعة.

أخمدت بالشرق نيرانا مؤججة قد كان عز على الإسلام مخبيها [1]
حتى بعثت عليها رحمة فخبت نيرانها بك فانفتت أفاعيهـــا [2]
ماضيع الله قوما صرت تملكهم ولا أضاع بلادا أنت واليهـــا

والشاعر فى قصيدته وإن لم يلتزم فيها النهج التقليدى من البدء بالمقدمة الغزلية وراح يدعو إلي ترك الأطلال والاستعاضة عنها بمقدمة أخرى وراح يصف الخمر ويتغزل فإنه قد استخدم معانى الأقدمين وصورهم وأسلوبهم القوى المتين المحكم البناء والنسج والذى يتلاءم وشعر المدح بل إنه إختار بحراً طويلا وهو" بحر البسيط " لقصيدته مثلما كان يفعل المتقدمون من الشعراء فى مدائحهم .

وقد شاعت فى الأبيات كثير من المعاني الجديدة والخيالات الرائعة التى كست الأبيات رونقا وبهاءاً وزادت من حلاوتها وروعتها، مثل قوله:" أحييت يداه الندى والجود " وقوله :" فتى تهين المال راحته" وقوله:" يمنى يديك لنا جدوى " وغير ذلك مما تزخر به الأبيات.

فضلا عن استخدام ألوان البديع البديعة التى زادت الأبيات جمالا فوق جمال، وإننا لانحس لفظا ساقطا ولانبوا أو نفورا بين ألفاظه ومعانيه ولافسادا أو إفسادا فى بديعه وخياله.

كذلك ورد بيتين فى ديوان الشاعر يمدح فيهما الخليفة" المأمون " وأظن أن مدائحه فيه قد انقطعت ولم تصل إلينا لسبب لانعلمه إذ لايعقل أن يكون الشاعر قد مدح خليفته بهذين البيتين فقط، وهما: [3]

---

(١) مخبيها : مطفئها .
(٢) الأفعى : الأنثى من الحيات وهو شرها.
(٣) ص ٣٣١ ديوان مسلم بن الوليد .

وردت على خاقان" خليلك بعدما — كره الطعان وقد أطلن عراكا

حتى وردن وراء " شاش" بمنـــزل — تركت به نفلا له الأتراكـــا

كما ورد فى ديوانه أيضا مقطوعة فى مدح الخليفة" الرشيد " قال فيها: (١).

بأبى وأمى أنت ماأندى يـــدا — وأبر مثياقا وما أزكاكـــا

والله لو لم يعقدوا لك عهدها — أعيا البرية أن تصيب سواكـــا

يغدو عدوك خائفا فـإذا رأى — أن قد قدرت على العقاب رجاكا

فهذه هى كل مدائحه ومقطوعاته فى المدح التى وردت فى ديوانه فى مدح الخلفاء العباسين وإنها لا تمثل كل مدائحه فيهم بالطبع.

ونلاحظ على مدائح " مسلم " فى الخلفاء العباسين أنها قد جمعت فى معانيها بين القديم التقليدى والجديد الحضرى الذي استمده من عصره الذى عاش فيه، فقد مدح الشاعر الخليفة : بالكرم والجود والشجاعة والقوة والمجد والرفعة وعراقة الأصل وطيب المنبت ووصفه بالحلم فى موضعه والشدة فى موضعها والعفو عند المقدرة، وأنه إمام الأمة وأنه خليفة الله وأنه الإمام الهادى وابن السادة من آل هاشم ....الخ.

وهذه المعانى قديمة معروفة من قبل " مسلم بن الوليد " وقبل عصره. كذلك لاحظ الشاعر فى مدائحه للخليفة العباسى مستحدثات عصره وما طرأ عليه من تقدم وتطور فى جميع مناحيه فقد وصف الخليفة بمعان نابعة من حياته العامة التى تتصل بعصره وثقافتـــــــــه

---

(١) ص ٣٣١ ديوان مسلم بن الوليد.

وسياسته أو أعماله وجهوده التى حققها ثم من حياة الخليفة الخاصة التى تمثل حياته الشخصية ونهجه فى قصره ومع شعبه وأعوانه، ثم وصفه أيضا بمعان نابعة من علاقة الشاعر بخليفته ونظرته الخاصة تجاهه ومن شعوره وعواطفه الذاتية .

ومن المعانى العامة التى وصف بها الخليفة : توضيح منهج الخليفة فى سياسة الدولة وحكمه العادل للرعية ومحافظته على حدود دولته وتأمينها ضد الخارجين عليها من الداخل والخارج ووصفه بمعان دينية خالصة مثل: خليفة الله وأمين الله وإمام الهدى وإمام الورى، وذكر حروبه وإنتصاراته على أعدائه كالروم والخزر والخوارج ....وكل ذلك واضح تمام الوضوح فى النماذج الشعرية التى ذكرناها.

ومن المعانى الخاصة : ماكان يتحدث فيها عن حياة الخليفة الخاصة وتصرفاته الشخصية وماكان يفعله فى ساعات أيامه وأوقاته .

فضلا عن المعانى الذاتية التى نبعت من مشاعر الشاعر وخرجت من عواطفه معبرا فيها عن حبه للخليفة وإعجابه به ومايرجوه ويأمله منه.

وشعر الشاعر فى مدح الخلفاء أقرب مايكون إلى شعر المدح فى العصر الأموى فى قوةألفاظه وجزالتها ومتانة تراكيبه وإحكام نسج أساليبه، كما أنه فى صوره أقرب إلى صور القدماء والفحول من الشعراء السابقين ويتضمن معانيهم ومبانيهم وألواحهم ويعج بالنوق ووصفها والصحراء ورسمها وفيه الصور والمعانى البدوية فضلا عن كثير من الصور والمعانى التى استمدها الشاعر من بيئته وعصره وماطرأ عليه من تقدم وتحضر وفضلا عن كثير من الصور والأخيلة والمعانى التى جادت بها قريحته وجاء بها من خياله وفكره .

ب- مدح القواد والوزراء وكبار رجال الدولة:

إتصل " مسلم بن الوليد " برجال كثيرين من كبار رجال الدولة العباسية وأعيانها فقد اتصل بالقواد والوزراء والأمراء والكتاب والقضاه وغيرهم وتوثقت الصلة بينه وبين معظم هؤلاء الكبار إلا أن علاقة الشاعر قد اختلفت من شخص لآخر : حيث نراه يتصل ببعضهم اتصالا دائما وينقطع إلى مدحهم ويستمر فى مدحه لهم والإشادة بفضلهم بينما نراه يتصل بالبعض الآخر اتصالا متفرقا لايدوم ويمدحهم من حين لآخر.

ومن الطبقة الأولي : " يزيد بن مزيد الشيبانى " والبرامكة" "ومحمد بن منصور بن زياد " و " داود بن يزيد المهلبى " و " الفضل بن سهل " .

ومن الطبقة الثانية التى لم ينقطع إليها:" زيد بن مسلم " و " يزيد بن منصور الحميرى" و " خزيمة بن خازم " و" إبراهيم بن جبريل " و" هاشم ابن عم يزيد بن مزيد الشيبانى " و "سهل أبايحى" من آل الصباح، و"يعقوب بن سعدان" و " زيد بن مسلم الحنفى" و" الحسن بن عمران الطائى " وغيرهم.

وقد وجد" مسلم بن الوليد" من رعاية هؤلاء الوجهاء وعطفهم وكرمهم ماشجعه على المضى قدما فى مدحهم والثناء عليهم والإشادة بهم إشادة بالغة. وكان على رأس هؤلاء :"يزيد بن مزيد الشيبانى " القائد العربى المسلم الذى أغدق عليه الأموال والهبات وأجزل له العطاء وقربه إلى عقله وقلبه، وقد وجد " مسلم " فى القائد العربى الشجاع مجالا فسيحا للقول ومنطلقا واسعا للمدح والثناء وتصوير بطولته خاصة وأن الممدوح يعد- وبحق - موضوعا خصبا لفن المدح فهو ينتسب إلى أسرة عربية عريقة الأصل والمنبت رفيعة العروبة مشهورة بالجود مشهود لها

بالشجاعة حيث ينتمى إلي " ربيعة " و " بنى شيبان " أبطال العرب فى الجاهلية والإسلام على السواء، وقد ساهمت أسرته فى توطيد أركان الخلافة العباسية وتثبيت دعائمها ونصرتها على أعدائها وتقليم أظفار الخارجين عليها فكان عمه :" معن بن زائدة الشيبانى " علما من أعلام الدولة وقائدا عظيما من قواد الخلافة العباسية وكان " يزيد " ابن أخيه كعمه " معن بن زائدة " وشجاعا من شجعان العرب الفتيان الذين سطروا بسيوفهم أمجاد الخلافة ورفعوا على رماحهم أعلام الدولة وبسطوا على أكفهم ركابا للمحتاجين ، فكانوا أعلاما فى السلم والحرب على السواء وشهدت كتب الأدب والتاريخ بفضائلهم وبطولاتهم وأمجادهم الشامخة، فضلا عما يتمتع به " يزيد " نفسه من قوة وفروسية وكرم وجود حتى ضرب به المثل فى هذا وذاك، وله من الأعمال الجليلة ماوطد الملك وأشاع الأمن فى ربوع دولة بنى العباس ولولا" يزيد الشيبانى" ماوقف أمام الخوارج أحد ولا منع شرهم إنسان ولا"ستفحل أمرهم بقيادة ابن عمه " الوليد بن طريف الشيبانى ".

فما كان على " مسلم " إلا أن يسجل ماتراه عينه وتسمعه أذناه ويشدوا به الناس في كل مكان، فراح " مسلم " يدح القائد العربي ويسجل أعماله وإنتصاراته ويصف وقائعه وحروبه ويشيد بأمجاده ومفاخره وفضائله وصفاته إشادة بالغة فكان أديبا وشاعرا ومؤرخا راح يتغنى بالبطولات ويشيد بالأمجاد ويبرز الأحداث الجسام التى سطرها " يزيد " فى حياته وسجلها بأعماله وجهوده .

سجل" مسلم " كل ذلك فى مدائحه " ليزيد " بكل الروعة والبلاغة وبكل الدقة والبراعة ، ولاغرابة فى ذلك فقد أوتى الشاعر من بلاغة وفصاحة ولغة وشاعرية مايمكنه من ذلك فجاءت مدائحه فيه آية فى البلاغة وراية بين شعر المديح فى عصره .

ومن مدائحه الرائعة فى " يزيد " قصيدته التى استهلها بمقدمة طللية وراح فيها ينهج نهج القدماء فى التمهيد لقصيدة المدح بالبكاء على الأطلال ورثاء الديار والتغزل بالمحبوبة ووصفها وصفا ينم عن حبه ومشاعره وراح يصور حبه ولهوه وحبه للحسان ذوات الأعين النجل وذلك فى نحو أربعة عشر بيتا ثم خلص منها إلى مدح "يزيد بقوله :" [1].

وطيب الفرع أصفانى مودتـــه	كافأته بمديح فيه منتخـــل [2]
وبلدة لمطايا الركب منضيـــه	أنضيتها بوجيف الأينق الذلـل [3]
فيم المقام وهذا النجم معترضـا	دنا النجاء وحان السير فارتحـل [4]
ياماثل الرأس إن الليث مفترس	ميل الجماجم والأعناق فاعتـدل [5]
حذار من أسد ضر غامة بطـــل	لايولغ السيف إلا مهجة البطل [6]
لولا " يزيد "لأضحى الملك مطرحـا	أو مائل السمك أو مسترخى الطول [7]
سل الخليفة سيفا من بنى مطـر	أقام قائمه من كان ذا ميــــل [8]
كم صائل فى ذرا تمهيد مملكـــة	لولا "يزيد "بنى شيبان لم يصل [9]

(١) ص ١-٢٣ ديوان مسلم بن الوليد . من بحر : البسيط.

(٢) منتخل : مختار .

(٣) منضية : متعبة . أنضيتها : قطعتها. الوجيف : ضرب من السير والذلل:الضامرات.

(٤) معترضا : منتصبا. والنجم : الثريا. النجاد : السريع .

(٥) مائل الرأس: أى عن الطاعة إلى المعصية . ميل : جمع أميل. وأراد بالليث"يزيد".

(٦) يولغ : يلعقه الدم. يقال : ولغ الكلب فى الإناء وأولغه.

(٧) مطرحا : مخذولا.

(٨) سل : بعث . أقام : قائم السيف :نصابه .

(٩) صائل : هائج . تمهيد مملكة : أى فى بسط مملكة.

نابُ الإمام الذى يفتر عنــــه إذا   ماإفترت الحرب عن أنيابها العصل (١)

من كان يختل قرنا عند موقفـــه   فإن قرن "يزيد " غير مختتــــــل (٢)

سد الثغور" يزيد" بعدما انـفرجت   بقائم السيف لا بالختل والحيـل (٣)

كم قد أذاق حمام الموت من بطــل   حامى الحقيقة لايؤتى من الوهل (٤)

أغر أبيض يغشى البيض أبيض لا   يرضى لمولاه يوم الروع بالفشـل (٥)

يغشى الوغى وشهاب الموت فى يـده   يرمى الفوارس والأبطال بالشعــل (٦)

يفتر عند افترار الحرب مبتسمـا   إذا تغير وجه الفارس البطــــل

موف على مهج فى يوم ذى رهج   كأنه أجل يسعى إلى أمــــل (٧)

ينال بالرفق مايعيا الرجال بــــه   كالموت مستعجلايأتى على مهل

إن شيم بارقه حالت خلائقــــه   بين العطية والإمساك والعلــــل (٨)

يغشى المنايا المنايا ثم يفرجهـــا   عن النفوس مطلات على الهبــل (٩)

لايرحل الناس إلا نحو حجرتـــه   كالبيت يضحي اليه ملتقى السبل

يقرى المنية أرواح الكماة كمـــا   يقــرى الضيوف شحوم الكوم والبزل (١٠)

---

(١) يفتر : يفتح فاه. العصل : جمع :أعصل وهو المائل إلى الخلف.

(٢) الإختتال : الخديعة .

(٣) انفرجت : انفتحت . والختل : الخديعة.

(٤) الوهل : الجبن .

(٥) أغر : مشهور فى الشرف. أبيض : نقى من العيوب البيض: السيوف. لايرضى لمولاه : أى للضارب به . الفشل : نبو السيف عن القطع والفشل : الكلل والكلال.

(٦) شهاب الموت : السيف . والشعلة : اللهيب .

(٧) موف : مقبل : أى يقبل عليها بالقتل . مهج : جمع مهجة . رهج : غبار .

(٨) شيم بارقة : طلب عطاؤه .

(٩) يغشى المنايا: يدرك المنايا منايا آخر .والهبل : الفقدان .

(١٠) الكوم : الإبل العظام الأسنمة . والبزل : التى انتهت تسعة أعوام.

يكسو السيوف دماء الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل [1]
يغدو فتغدو المنايا فى أسنتــه شوارعا تتحدى الناس بالأجـل

ففى هذه الأبيات من القصيدة يمدح " مسلم " " يزيد " مدحا قويا رائعا فى صوره ومعانيه متماسكا فى أسلوبه ومبانيه مضفيا عليه من خياله وثقافته وفكره.

وقارىء هذه الأبيات حينما يقرأها يعرف أنها مدح فى قائد شجاع ذى خبرة عالية بفنون الحرب متمرس على المعارك والأحداث الجسام، فقد وصف الشاعر ممدوحه بمعان وصور تتلاءم مع موقعه العسكرى والسياسى الخطير الذى يمثله "يزيد" فقد وصفه بالقوة والشجاعة وصوره بالليث والسيف والأسد وناب الإمام وأنه سد الثغور وأمنها من الأعداء وأنه لايأخذ أعداءه على خديعة بل يهاجمهم بالمضاربة لشجاعته وتمكنه من فروسيته، وأنه بطل شجاع أذاق الموت لكثيرين من أعدائه وأنه لايؤتى فى نفسه من جبن ولكنه غاية فى النجدة، وأنه مشهور أغر فى المجد والسؤدد نقى من العيوب لايخذل سيفه يوم الروع وأنه يخوض الحرب والموت يكمن فى يده لأعدائه وأنه لايخاف الحرب بل يخوضها فرحاً غير مكترث بأهوالها لشجاعته وفتوته، وأنه يقبل على مهج الأعداء بالقتل فى يوم شديد الغبار من الحرب ويعمل فيهم عمل الأجل فى الأمل، وأنه يأخذ أمره على مهل حتى يحقق مطالبه كالموت فى القضاء على الخلق فى تماهل ، وأنه إذا قدر عفا وأنه كريم جواد يقصده الناس من كل فج كالبيت الحرام الذ يقصده الناس من كل فج عميق وأنه يقرى أعداءه الموت ويقرى ضيوفه خير إبله وأنه يكسو سيفه بدم أعدائه الناكثين ويجعل رؤوسهم فى أسنة رماحه، وأنه يغدو إلى الحرب فتغدو المنايا فى أسنته تقصد أعداءه بالموت، ويستمر الشاعر فى مدح "قائده"

---

(١) شوارعا : قواصد . تتحداهم : تقصدهم بالموت

فى قصيدته الطويلة التى تبلغ تسعة وسبعين بيتاً- يشيد به وبقوته وشجاعته وأعماله وحروبه وانتصاراته التى حققها على الأعداء وأمن الدولة العباسية من شرورهم ، كما يشيد بكرمه وجوده وعطاياه التى عمت القاصى والدانى، ثم يصفه بأنه : حديد البصر غزيره وأنه لايعبق الطيب ولايكتمل مثل الآخرين بل هو فى رباط دائما منتضيا سيفه لايضعه.

صافى العيان طموح العين همته فك العناة وأسر الفاتك الخطل
لايعبق الطيب خديه ومفرقـــه ولايمسح عينيه من الكحـــل

وأنه يحيى أمال الفقراء بعطاياه، ثم وصفه بالحلم وعراقة النسب فهو من "بنى شيبان" ومضى يشيد بقوم شيبان - قوم الممدوح - ويعدد فضائلهم فى وقت السلم والحرب، ثم يعود فيمدحه هو ويدعو له بالسلامة ويشيد بانتصاره على الروم فى "يوم الخليج" وهو بذلك ينصر الإسلام على أعدائه ولولا دفاعه عن المسلمين فى هذا اليوم لأصاب المسلمين مـاأصـابهم من قـتل على يد الروم، وأنه الذى أمن الدولة من خطر الخارجين عليها فهو الذى قضى على جيش الخوارج بقيادة "يوسف البرم" الذى أضر بهارون الرشيد إضرارا بالغا وكلما أرسل إليه عسكرا هزمه حتى قضى عليه نهائيا على يد" يزيد بن مزيد"، ثم ذكر حربه أيضا مع "الوليد بن طريف" ابن عمه وأحد زعماء الخوارج الذى استطاع "يزيد " أيضا أن يقتله ويصيب جيشه بهزيمة نكراء ويجعل مسلم انتصار "يزيد" على الخوارج انتصاراً للدين وأهله:

وقمت بالدين يوم الرس فاعتدلت منه قوائم قد أوفت على ميـــل

ويرى مـــسلم أن "يزيدا" هو الذى قـضى على الخـوارج ولولاه ماأقلعوا عن تهديد الدولة وأنه ترك أجسادهم فريسة للطير تأكلها.

ثم راح يعدد فضائله ومآثره ويرى أنها لاتحصى ولاتعد، ويرى أن الخليفة "هارون الرشيد" جبل و"يزيد" وولده ركنا ذلك الجبل، وأن بنى العباس أعظموه وكثيرا مادافع عنهم الدواهى ومعضلات الأمور التى أعدوه لها، ويصفه بالزهد فى الدنيا وعدم الاهتمام بها وأنه لايمنع معروفا لسائل ويأبى لسانه منع الجود ثم يعترف الشاعر فى آخر القصيدة بجود الممدوح عليه.

وهكذا مدح مسلم "يزيد" مدحا رائعا فى قصيدة بارعة تعد من مشهورات شعره فى المدح بل هى أشهر قصيدة فى ديوانه وسارت أبياتها واعترف بجودتها النقاد والباحثون،وتناقلتها كتب الأدب ومصادره وأشادت بها إشادة عظيمة، وقد حفظها الخليفة "هارون الرشيد" لجودتها وروعتها وكان ينشدها فى مجالسه.

وقد أشاد بها "الصفدى" فى الغيث المسجم" وقال : إنها من القصائد المشهورة وفيها الأبيات النادرة.. ولما سمعها "هارون الرشيد" أمر بحمل خمسين ألف دينار ليزيدو خمسة آلاف دينار لمسلم"(١) وذلك بعد أن علم صدق الشاعر فى قصيدته وأنه لايقول إلا حقا ولايصور إلا واقعاً وقد كان "مسلم" موفقا كل التوفيق فى قصيدته وأخرج لنا دررا من القريض فى فن المديح فى هذه القصيدة، وجاءت ألفاظه قوية جزلة وتراكيبه متماسكة وأسلوبه متينا وتفيض أبياته صورا ومعان مبتكرة جديدة وتزخر بالصور والمعانى القديمة التى استقاها من الشعر القديم، فقد جمع فيها "مسلم" بين القديم الموروث وبين الجديد الذى جد فى عصره وكان موفقا فيها كل التوفيق.

---

(١) ص ١٨٧ جـ٢ الغيث المسجم للصفدى . طبعة مصر عام ١٣٠٥ هـ ، ص٦ تشنيف السمع. للصفدى. طبعة مصر عام ١٣٢١هـ.

ومن مدائحه فى "يزيد " قصيدته التى بدأها بالحديث عن خيال المحبوبة والتغزل فيها وراح يذكر الواشى واللائم ويتحدث عن الحب وعهد المحبوبة فى مقدمة غزلية تمهيدية فى ستة أبيت فقط ثم تخلص منها إلى مدحه بقوله : (١)

لولا "يزيد" وأيام له سلفت	عاش "الوليد" مع الغاوين أعواما (٢)
سلّ الخليفة سيفا من بنى مطر	يمضى فيخترق الأجساد والهاما (٣)
كالدهر لاينثنى عمن يهم به	قد أوسع الناس إنعاما وإرغاما (٤)
حمى الخلافة والإسلام فامتنعا	كالليث يحمى مع الأشبال آجاما (٥)
أكرم به وبآباء له سلفوا	أبقوا من المجد أياما وأياما
ترى العفاة عكوفا حول حجرته	يرجون أروع رحب الباع بساما (٦)
يقول: لا ونعم فى وجه حمدهما	كلتاهما منه قد تمضى لما راما
منية فى يد "هارون" يبعثها	على أعاديه إن سامى وإن حامى (٧)
خير البرية آباء إذا ذكروا	وأكرم الناس أخوالا وأعماما
تظلم المال والأعداء من يده	لازال للمال والأعداء ظلاما

فى هذه الأبيات: يشيد "مسلم" بممدوحه القائد وشجاعته وقوته ويرى أنه سيف سلّه الخليفة على الأعداء ولولا قتله "الوليد بن طريف" - أحد زعماء الخوارج - لقضى"الوليد" سنين طويلة مع الضالين، ثم شبهه

---

(١) ص٦١-٦٨ ديوان مسلم بن الوليد. من بحر : البسيط.

(٢) سلفت: تقدمت. الغاوين: الضالين ويعنى : الخوارج.

(٣) سل: بعث . الهام: الرؤوس.

(٤) الإرغام : الإذلال.

(٥) الآجام: جمع أجمة وهى الشجرة الملتفة.

(٦) العفاة : جمع عاف وهو الزائر. أروع: أحسن. بساما: ضحوكا.

(٧) سامى : ناهض فى الارتفاع.

بالدهر فى العزم ونفاذ الأمور وأنه بلغ المدى فى إنعامه وإذلاله لمن يستحق هذا أو ذاك، ويصفه بأنه حامى الخلافة والإسلام مثل الأسد الذى يحمى عرينه وحوله جمع من الأشبال، ثم يشيد بآبائه وبأجداده السابقين حيث كان لهم من المجد ماكان ومابقى إلى اليوم ، ثم يصفه بالكرم والجود ويرى أن داره لاتخلو من مريدى كرمه، وأنه يقول: لا فى موضع تحمد فيه ونعم فى موضع تحمد فيه، ثم يشبهه بالموت يبعثه الخليفة على الأعداء، ويرى أنه خير البرية وأكرم الناس نسبا، وأنه ظلام للمال حيث يبدده وينفقه على المحتاجين وظلام للأعداء حيث يسرف فى قتلهم وهلاكهم: أى أنه يبلغ المدى فى كرمه وشجاعته.

ويلاحظ فى الأبيات أن الشاعرقد ركز فى مدح الممدوح على ثلاثة أوصاف هى: الشجاعة والكرم والنسب العريق وراح يفرع منها معانيه وصوره فى أبياته، وهذه معان قديمة معلومة فى الشعر منذ العصر الجاهلى إلا أن الشاعر قد صاغها بأسلوبه القوى وصوره المتعددة فبدت وكأنها جديدة.

ثم يستمر الشاعر فى بقية القصيدة مشيدا بممدوحه واصفا إياه بالشجاعة والكرم، فهو الذى قتل "الوليد بن طريف" وأنه همام شجاع لايهاب الحرب بل يقدم عليها ويزداد إقدامه إذا اشتدت وزاد لهيبها، وأن الموت يمضى كما تمضى رماحه وسيوفه، وأنه ليث فى شجاعته، وإذا أعطى أغنى السائلين بعطائه وكفاهم ظمأ الفقر، وإذا قاتل أروى سيوفه من دم الأعداء، وأنه لايستطيع الإنصراف عن الحرب والعطاء، فكأنه يقضى حياته بين الحرب مدافعا ضد الأعداء وبين الكرم والجود مدافعا ضد الفقر، ثم تابع مديحه بقوله:

خيل له مايزال الدهر بقحمهـــــا ... فى غمرة الموت يوم الروع إقحاما [١]

إذا بدا رفع الأستار عن مـــــلك ... تكسى الشهود به نورا وإظلامـــا

أقسمت مانمت عن قهر الملـوك ولا ... كان الخليفة عن نعمـــاك نوامـــا

أذكرت سيف " رسول الله" سنتـــه ... وبأس أول من صلى ومن صامـــا [٢]

إن يشكر الناس ماأوليت من حسن ... فقد وسعت بنى حواء إنعامـــا [٣]

قطعت فى الله أرحام القريب كما ... وصلت فى الله أرحاما وأرحامـــا [٤]

إذا الخلافة عدت كنت أنت لهـــا ... عزا وكان " بنو العباس " حكاما [٥]

مامن عظيم قد انقاد الملوك لـــه ... إلا يرى لك إجـــلالا وإعظامـــا

يصيب منك مع الآمال صاحبهـــا ... حلما وعلما ومعروفـــا وإسلامـــا

إذا علوا مهمها كان النـجاء لهـم ... إنشاد مدحك إفصاحا وترنامـــا [٦]

لو كان يفقه رجع القول طائرهـــا ... غنى بمدحك فيها بومها الهامـــا [٧]

لو لم تجبك جنود الشام طائعـــة ... أضرمت فيـها شهاب الموت إضراما [٨]

ووقعة لك ظل الملـك مبتهجـــا ... فيها ومات لها الحساد إرغامـــا

---

(١) غمرة الموت : معظم الحرب : واستعير من غمرة الماء.

(٢) سيف رسول الله: على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

(٣) بنى حواء: الناس أجمعين.

(٤) قطعت فى الله أرحام القريب : يعنى به قتله "الوليد بن طريف " ابن عمه .

(٥) عدت : ذكرت . عزا : قائدا تعزها . حكاما : خلفاء.

(٦) مهمها :قفارا . النجاء : الإبل . ترناما : صوتا خفيا يردده المتكلم .

(٧) رجع القول : صداه .

(٨) أضرمت : ألهبت وأشعلت .

رددت فيها إلى الإسلام مظلمـــة سوى الإله بها " فهرا" و" هماما" (٩)
لو لم تكونوا " بني شيبان "من بشر كنتم رواسي أطواد وأعلامـا (١٠)

ويستمر الشاعر في تصوير بطولة ممدوحة ووصف شجاعته ويقول :إن له خيلا قوية تلازم الحرب دائما ولا تغيب عنها، وأنه إذا رفعت عنه الأستـار بدا للناس ملكاوكـان نورا على الأوليـاء وإظلامـا على الأعداء، (وهذا معنى جميل وكلام بديع) ثم يقسم الشاعر أن الممدوح مانام عن قهر الملوك ولاكان خليفته " الرشيد " نواما عن نعمه حيث قتل " يزيد" " الوليد بن طريف " الذى كثيرا ماأغم الخليفة بهزيمة قواده السابقين ، ثم راح الشاعر يشبه بأس " يزيد" وشجاعته ببأس " على بن أبى طالب " كرم الله وجهه.

وقد أشار الشاعر هنا إلى مافعله " الرشيد" حينما جهز " يزيد بن مزيد " إلى حرب " الوليد بن طريف " أعطاه سيف النبى صلى الله عليه وسلم - ذا الفقار- وقال له خذه يايزيد فإنك ستنصر به فأخذه ومضى وكان من هزيمة " الوليد" وقتله"[٣] وكان " على بن أبى طالب " هو الضارب بسيف النبى صلى الله عليه وسلم فأذكره به.

---

(١) فهر : جد قريش . همام : ابن بكر بن وائل .وهو جد الممدوح .

(٢) أطواد : جمع طود : وهو الجبل . رواسى : شامخة وعالية

(٣) ص ٢٨٤ جـ٢ وفيات الأعيان . ط مصر عام ١٣١٠ هـ

ثم راح يصفه بالجود والكرم ويرى أنه عم الناس جميعا بكرمه، وأنه يقطع الرحم حبا فى الله [١] ويصل الأرحام حبا فى الله كذلك ، وأنه معز الخلافة بدفاعه عنها وأن الملوك تجله وتعظمه، ثم وصفه بالحلم والعلم والمعروف وحسن الإسلام وأنه أمن البلاد والعباد وراح الناس يشيدون بذلك ويثنون عليه حتى الطيور قد شدت بالممدوح وغنت بمديحه وأنه أخضع الخارجين وأذل الفاسقين ورد إلى الإسلام مظالمه وأنصفه ممن ظلمه ثم اختتم القصيدة بالاشادة بآبائه وأجداده وأنهم كالجبال المشرفة العالية والأعلام فى الأرض.

وهكذا بلغ الشاعر المدى فى مدح ممدوحه والثناء عليه وتسجيل بطولاته وأعماله الخالدة التى سطرها فى حياته وأعلى بها شأن الخلافة وأعز بها الإسلام، وراح الشاعر يعدد حروبه وإنتصاراته وفضائله على دولة الخلافة وتأمين ربوعها داخليا وخارجيا، مشيدا بالممدوح معددا صفاته من شجاعة وقوة وعزيمة وإقدام وإصرار وكرم وجود وعفو عند المقدرة ومشيدا بنسبه وأصله.

كل ذلك فى أسلوب قوى جزل فخم متماسك بلا نبو أو نفورأو تفاوت مكثرا من معانيه الجديدة المبتكرة وملبسا ثوب الجدة لمعانيه القديمة التى استمدها من التراث القديم مظهرا روح عصره وحضارته فى معانيه وصوره مزينا أبياته بكثير من ألوان البديع - خاصة الطباق - التى اعتمد عليها اعتمادا واضحا فى إبراز صوره ومعانيه، وقد أكثر من إستخدام ألوان البيان - من تشبيه وإستعارة وكناية - وأشاعها فى أبياته وجاءت رائعة رائقة وأشاعت الحياة والحركة فى صورةومعانيه.

---

(١) يشير بقطع الرحم : إلى قتله : الوليد بن طريف" ابن عمه .

ويحق تعد هذه القصيدة من روائع شعره فى مدحه بل من روائع المدائح فى الأدب العربي كله لما فيها من ابتكار وتجديد فى المعانى والصور والأخيلة ولأسلوبها القوى الجيد المستوى الذى يلائم شعر المدح ويتسق معه ولجمعها بين التقليد والتجديد فى روعة وتجانس واكتمال خصائص الشاعرية والفن فيها.

وللشاعر مقطوعتان أيضا فى مدح "يزيد بن مزيد" خلاف القصيدتين اللتين تقدمتا: الأولى أربعة أبيات [١] والثانية ثمانية أبيات وتغزل فى بيتين فى مقدمتها [٢] ويضمنهما الشاعر نفس المعانى والصور التى عددها فى مدحتيه.

كما مدح " مسلم " جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك " وكان وزيرا" للرشيد " مقدما عنده وانقادت له أمورالدولة وحصل له المال العريض. وقتله" الرشيد" فى سنة ١٨٧هـ وعمره ٣٧ سنة " [٣] وذلك فى نكبة البرامكة.

ومن مدحه فيه قوله بعد مقدمة حازت أربعة عشر بيتا تحدث فيها "مسلم" عن حياته الخاصة ولهوه ومجونه وحبه ورحيل الأحبة والتغزل فيهن كما تحدث عن شبابه وشيبه ونكبات الدهر ومصائبه، ثم خلص منها إلى مدح " جعفر " بقوله : [٤]

---

(١) ص ٩٧-٩٨ ديوان مسلم بن الوليد.

(٢) ص ٢٦٨ ديوان مسلم بن الوليد.

(٣) ص ١١٤ جـ٥ الكامل فى التاريخ لابن الأثير.

(٤) ص ٢٤٩-٢٥٢ ديوان مسلم بن الوليد . من بحر : البسيط.

أعطى المقاده أهلُ الشام حين عشوا — من " جعفر" بهنات مالها حــــول
سد الخليفة أطراف الثغور بــــه — وقد تهتك واسترخى لها الطــــول
يأتى الأمور بأشكال فيبرمهـــــا — مستحصد الرأى مافى رأيه خطـل[١]
يكاد من عزم رأى فى بصيرتـــه — أن يختل الدهر عما ليس يختتـل[٢]
أمنت بالشام أرواحا وأفئــــــدة — قد حل مستوطنا أوطانها الوجـل[٣]
كل البرية ملق نحوه أمــــــلا — بالرغب والرهب موص ولابه الأمـل
مستغرق لمنى العافين نائلـــــه — تفنى على وعده الأمـال والعلـل
ومجمع لحتوف الدهر أهبتـــــه — فرجت غماء والموت مشتمـــل

إلى أن قال :

أثبت للدين أركانا وأعمـــــدة — قد كان خيف عليها الدحض والزلل
إذا تفاوت أمر أو مضى حـــدث — ردت نوافله من أمرك المهــــل
أطعت ربك فيما الحق لازمــــه — حتى أطاعك فى أعدائك الأجــل
لم يخرج النكث قوما عن ديارهم — إلا رمتهم بك الأيام والــــدول
تفتر عنك العلا إن عد واحدهـا — حتى يكون إليك الخوف والأمـل
لاقى بك المجدقوما يحتلون بـــه — فقلدوك حلى المجد إذ عطلــوا

فى هذه الأبيات يمدح " مسلم " ممدوحه الوزير الفارس بأوصاف ومعان تتلاءم مع منصبه وموقعه ومايتحلى به من صفات شخصية، فيصفه بالقوة والشجاعة وسداد الرأى ونفاذ البصيرة والعزم والحزم والكرم والجود وحسن الإيمان وطاعة الله وعراقة الأصل وفضل المجد : فالممدوح بقوته وشجاعته أخضع أهل الشام وأطاعوه وقد سد به الخليفة الثغور وأمنها وأنه يقضى الأمور ويبرمها برأى حكيم وبصيرة نافذة وأنه أمـن

(١) يبرمها : يقضيها . خطل : نقص وأعوجاج.

(٢) ختل : خدع . يختل : يخدع .

(٣) الوجل : الخوف .

الأرواح والقلوب، ومن جوده وكرمه يتطلع إليه راجيا جوده وعطاياه وهو كريم مجواد يفنى الأموال بكثرة وعوده للمحتاجين وأنه مجمع كل محتاج وأنه ثبت أركان الدين وأعمدته وأنه قد أطاع ربه فى الحق وأنه أهل العلا والمجد وقد اعترف بذلك أهل المجد أنفسهم .

وهكذا أخذ مسلم يمدح " الوزير " ويضفى عليه : صفات الشجاعة والكرم والتقوى وعراقة النسب وماتفرع منها مخرجا كثيرا من الصور والمعانى المبتكرة من هذه المواضيع التقليدية التى عرفت من قبل فبدت فى ثياب جديدة وبأسلوب قوى فخم جزل متين مستو يناسب شعر المدح ويوافق قوته، وقد أكثر الشاعر فى أبياته من ألوان البديع - خاصة الطباق والجناس - واعتمد عليها فى إبراز معانيه وتصوير صوره اعتمادا ظاهرا فضلا عن استخدامه لألوان البيان من تشبيه واستعارة وجاءت كلها رائعة بديعة فزادت أبياته جمالا وتعبيرا وورونقا وحسنا.

ثم راح الشاعر بعد ذلك يذكر بعض أعمال الممدوح وانتصاراته التى حققها للدولة ولأهل البلاد فى " فلسطين " حيث أزال الخوف من نفوس أهلها بالقضاء على المعتدين وأعمل فيهم السيف والقتل وعفا عمن سالم وناضل الموت فيها وعالجها من أدوائها بسيفه الذى حقق الأمان والخير :

فسيف " جعفر "أعطاهم أمانهم ... ورأى " يحيى" أراهم غب ماجهلوا
فالملك ممتنع والشر متنـــــــزع ... والخير متسع والأمر معتـــــــدل

كذلك مدح " مسلم " جعفر بن يحيى " بمقطوعة شعرية تتكون من ستة أبيات قال فيها : [١].

---

(١) ص ١٤٦ ديوان مسلم . من بحر : الطويل .

تداعت خطوب الدهر عن جار"جعفر" وأمسك أنفاس الرغائب سائله [١]
هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه وتدرك أطراف البلاد سواحله [٢]
تصدعت الآمال عنك بألسن محملة شكر الذى أنت فاعله [٣]
لها جس نفس ترجيك ضنونها أرد لها من عرف آخر باذله [٤]
وماضرعت للدهر منك سجية وإن طرقت بالمفظعات بلا بله [٥]
ولله سيف ماعلى الأرض مثله مضاربه " يحيى " وأنت مقاتله

حيث يبلغ الشاعر بممدوحه عنان السماء بمدحه وهذا هو المدح الجيد، فالممدوح جواد معطاء وبلغ من شدة جوده أن عاش جاره آمنا حوادث الدهر بعطائه وأنه يجود بأغلى مايملك وقد بلغ المدى فى جوده حيث عم الأرض كلها بجوده كالبحر الذى يغشى الأرض ويعمها وأن ظنون النفس وآمالها فى كرم " جعفر" أجدى وأنفع لها من كرم متحقق من غيره...فأى روعة وأى بلاغة لتصوير كرم الممدوح مثل الذى صوره مسلم ؟ وأى معنى أروع وأجمل من المعنى الذى يضمه البيت الأخير؟ لقد استطاع " مسلم " أن يبلغ المدى بممدوحه ويرفعه إلى عنان السماء فى وصفه بأسلوب قوى محكم البناء متماسك البنيان جزل الألفاظ رصينها مبتكرا للمعانى والصور جاعلا من القديم الموروث جديدا بفنيته ومقدرته الشعرية الفائقة.

(١) خطوب الدهر : أحداثه . الرغائب : نفائس الأموال التى يرغب فيها والمفرد : رغيبة.

(٢) السيب : العطاء .

(٣) تصدعت : تفرقت .

(٤) الهاجس : الخاطر.

(٥) ضرعت : غابت . المفظع : الشنيع والشديد. البلابل : جمع بلبال وهو وسواس الصدر.

وكما مدح" مسلم ""جعفرا" فإنه مدح ابنه " الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك " ومن مدحه : قصيدته التى استهلها بمقدمة طويلة تبلغ اثنين وثلاثين بيتا من جملة أبيات القصيدة وعددها تسعة وسبعون بيتا ومما يدل على طول نفس الشاعر فى قصائده، وقد استهل الشاعر هذه المدحة بالحديث عن نفسه وحياته الشخصية ومايحسه من مشاعر وعواطف وحب ملأ عليه قلبه ثم راح يتغزل بحبوبته ويصف جمالها ثم انتقل إلى وصف الروضة وتصوير حسنها ثم انتقل إلى وصف الصحراء ومشقته فى عبورها على ظهر ناقته حتى وصل إلي الممدوح ثم تخلص من ذلك تخلصا حسنا وراح " يمدح " الفضل البرمكى " بقوله:[١]

وردن رواق الفضل " فضل بن جعفر   فحط الثناء الجزل نائله الجـــزل
فتى ترتعى الآمال مزنة جـــوده   إذا كان مرعاها الأمانى والبطــل
تساقط يمناه ندى وشما لـــــه   ردى وعيون القول منطقه الفضل
ألح على الأيام يفرى خطوبهـــا   على منهج ألفى أباه من قبـــل [٢]
عجول إلى مايودع الحمد مالـــه   يعد الندى غنما إذا اغتنم البخـل
كأن " نعم" فى فيه يجرى مكانها   سلالة مامجت لأفراخها النحـــل[٣]

إلى أن قال :

أناف به العلياء " يحى" و"جعفـر"   فليس له مثل ولا لهما مثـــــل
فروع تلقتها المغارس فاعتلـــى   بها عاطفا أعناقها قصده الأصــل [٤]
لهم هضبة تأوى إلى ظل "برمــك "   منوطا بها الآمال أطنابها السـبل [٥]

---

(١) ص ٢٦٠ -٢٦٧. ديوان مسلم . من بحر : الطويل .

(٢) يفرى : يقطع . خطوبها : أحداثها .ألفى : وجد.

(٣) مجت :أخرجت ولفظت .

(٤) المغارس : جمع مغرس : الموضع من الأرض .

أقرت عليهم نعمة الله نعمـــــة ... لهم فى رقاب الناس ليس لها نقل

وقوا حرم الأعراض بالبيض والندى ... فأموالهم نهب وأعراضهم بســـــل [١]

حبا لايطير الجهل فى عذباتهـــا ... إذا هى حلت لم يفت حلها ذحـــل [٢]

جرى آخذا"يحيى" مقلد "جعفــر ... وصلى إمام السابقين ابنه "الفضـل"

بكف أبى العباس يستمطر الغنى ... وتستنزل النعمى ويسترعف النصل

ويستعطف الأمر الأبى بحزمـــه ... إذا الأمر لم يعطفه نقض ولافتـــل

له سطوات غبها العفو بينهـــا ... فوائد يحصى قبل إحصائها الرمـل [٣]

ففى هذه الأبيات يمدح الشاعر ممدوحه ويصفه بمعان وصور تتناسب مع وظيفته وموقعه السياسى الذى يشغله كما نراه يصفه بمعان عامة مشتركة تقال فى كل ممدوح ، فيصفه بالجود والكرم والشجاعة والقوة والبلاغة والبيان وأنه كريم الأصل والمنبت ذو بأس ومنعة يبلغ المدى في بأسه مثلما يبلغه فى كرمه وجوده كما وصفه بالحزم والشدة والعفو كل فى موضعه: فهو كريم جواد ومحط آمال الطالبين، وينتشر الجود من يمينه والموت من شماله، وحديثه عيون القول، ولقد فتت خطوب الدهر وأحداثه علي نهج وجد عليه أباه من قبله، وأنه يتعجل الإنعام والجود ويرى الندي عنيمة فى الوقت الذى يرى الآخر البخل غنيمة، وتحلو عنده كلمة "نعم " ونسبه عريق عال مشرف فهو ابن " جعفر " وجده " يحى " وليس له ولالهما مثيل ولانظير ، وهذه الفروع قد أصابت مغارس طيبة، وبيتهم محط أنظار الطالبين ومأوى آمال الراغبين، وكم لهم فى رقـــاب

---

(١) منوط : متعلق

(٢) البيض : السيوف . الندى : الجود . بسل : حرام

(٣) حبا : جمع حبوه : وهى الالتفاف فى رداء . وحل الحبوة: كناية عن عدم الوقار وعقدها: كناية عن الوقار. والذحل : الثأر وقيل الحقد والعداوة .

(٤) سطوات : جمع سطوة : الحدث العظيم.

الناس من نعم استحقوا عليها نعمة الله، وأنهم - أى البراكمة- وقوا الأعراض بالسيوف والجود فأموالهم نهب وأعراضهم محرمة، ويحلمون فى مجالسهم ولكن عند الشدة أو أخذ الثأر من عدوهم فلن يستطيع أن يفلت من أيديهم - ثم عاد إلي الإشادة بالمدوح فى شخصه فقال:

إن كفه تمطر الغنى وتنزل النعمي وترعف النصل، وأنه شديد حازم لايلين إذا استحق الأمر ذلك وكم له من السطوات التى عفا عنها وهى لاتحصى ولاتعد.

ويستمر الشاعر فى مدح ممدوحه ويعدد مواهبه وفضائله فى أوقات الشـدة والسلم وأنه يزيل الفـقـر بجـوده والخـوف والخطر بقـوته وأنه أهـــــل" لكل الفضائل والمكارم ، ثم راح يشيد بأبيه "جعفر" الذى استرد " الشام " من أيدى الأعداء وأعادها للخلافة وأخذ يصف الحادثة وصفا مفصلا موضحا فضل البرامكة فى تأمين الدولة داخليا وخارجيا وأنهم يحققون كل مايوكل إليهم من أعمال خاصة في حروبهم مع الروم، ثم وصف " جعفر" أبا الممدوح بأنه : سد الثغور ورأيه الشورى وأنه شهاب أمير المؤمنين الذي حقق الأمن والعدل وأنه نافذ البصيرة رقيب على غيب الأمور.

فنرى مسلما فى مديحه " للفضل بن جعفر" يتعرض لذكر أبيه وجده وآل " برمك " قومه ويأخذ فى مديحهم والإشادة بهم وتوضيح أعمالهم وتسجيل مفاخرهم وتعداد مناقبهم، وهذا فى الحقيقة مدح للممدوح وإشادة به .

ثم يختتم القصيدة بالإشادة " بيحيى" و " جعفر" و " الفضل " بقوله:

يقوم بباغى الدين " يحيى " و " جعفر "

إذا لحى الإسلام واضطرب الحبـــــل

متى شئت رفعت الرواق على الغنى إذا أنت زرت " الفضل " أو أذن الفضل

وهكذا مدح الشاعر " الفضل بن جعفر البرمكى" وأبدع فى مدحه وأجاد فى معانيه وصوره ، وتزخر أبياته بكثر من المعانى المبتكرة والصور الجديدة بجوار الكثير من المعانى والصور القديمة التى تأثر فيها بمعانى الأقدمين.

فمن معانيه الجديدة قوله:" تساقط يمناه ندى " وشماله ردى " وقوله :

" بكف أبى العباس يستمطر الغنى وتستنزل النعمى ويسترعف النصل

وقوله:" ألح على الأيام يفرى خطوبها " وقوله :" يعد الندى غنما إذا اغتنم البخل" وقوله :" تبسم عنك المهل فى غاية الندى" وغير ذلك مما تزخر به الأبيات.

والشاعر - كطبيعته - ألفاظه جزله فخمة، وأسلوبه قوى متين محكم النسج مستو بعيد عن الغرابة والوعورة منفى عن النفور والنبو والتفاوت، وتتلاءم الألفاظ مع المعانى، ويتعانق التعبير مع الشعور، وتظهر فى الأبيات نفسية الشاعر وعواطفه تجاه ممدوحه بوضوح تام ومايرجوه منه ويأمله من عطاياه وقد أشاع الشاعر فيها ألوان البديع وبعض ألوان البيان التى اعتمد عليها اعتمادا واضحا فى إبراز معانيه وتصوير صوره، وجاءت فى مجملها رائعة رائقة بعيدة عن الفساد أو الإفساد وزانت أبياته وزادت معانيها جمالا فوق جمال وحسنا على حسن، كما تظهر مسحة التقليد واضحة فى أبياته:

حيث إستخدم كثيرا من معانيهم وصورهم وجرى على نهجهم فى أسلوبهم بل حتى فى إيثار الوزن العروضى " وهو بحر : الطويل " لأبياته، فضلا عن مراعاة عصره وماطرأ عليه من تقدم وتحضر، فجاءت أبياته مزيجا من القديم الموروث والجديد الذى جد فى عصره مما حقق لها البراعة والروعة.

ومن مدائحه فى" البرامكة" بيتان مدح فى أحدهما" يحى" وجعفرا"بقوله: (١)

أجدك ماتدرين أن رب ليلة ... كأن دجاها من قرونك ينشـــر
صبرت لها حتى تجلت بغـرة ... كغرة " يحيى" حين يذكر " جعفر"

وقد مدح أيضا:" داود بن يزيد بن حاتم بن خالد بن المهلب" أحد قواد الدولة العباسية العظماء، ومن مديحه فيه قوله يمدحه بقصيدة طويلة تبلغ : مائة بيت وقد مهد لها بمقدمة طويلة تبلغ خمسة وعشرين بيتا من عدد أبياتها، وقد تحدث الشاعر فى مقدمته عن حياته ونفسيته وحاله فى حبه ولهوه وتردده فى حياة اللهو وأخذ يقص حكاية له مع جارية ناعمة شرب معها كؤوس الهوى والخمر إلا أن نفسه تلومه على حياته اللاهية ويأبى الخمر ويستعيض بالماء بدلا منها لأنه رضى الحلم وأبى الصبا، ثم انتقل إلى وصف الصحراء ومشاهدها والناقة والرحلة وماصاحبه فيها من عناء ومشقة إلى أن وصل إلي ممدوحه فقال: (٢)

حلت بـ " داود " فامتاحت وأعجلها ... حذو النعال على أين وتحريـد (٣)
أعطى فأفنى المنى أدنى عطيتـه ... وأرهق الوعد نجحا غير منكود

(١) القصيدة : ص ١٥١ -١٧١ ديوان مسلم . من بحر : البسيط .

(٢) امتاحت : شربت . الامتياح: استقاء الماء . الأين : الفترة . التحريد:داء يصيب الإبل .

والله أطفأ نار الحرب إذ سعـــرت   شرقا بموقدها فى الـغـــرب داود
لم يأت أمرا ولم يظهر على حدث   إلا أعين بتوفيق وتسديـــد (١)
موحد الرأى تنشق الظنون لـــه   عن كل ملتبس منها ومعقـود (٢)
تمنى الأمور له من نحو أوجههـا   وإن سلكن سبيلا غيـر مورود (٣)
إذا أباحت حمى قوم عقوبتــه   غادى له العفو قوما بالمراصيـد (٤)
كالليث بل مثله الليث الهصور إذا   غنى الحديد غناء غير تغريـد (٥)
يلقى المنية فى أمثال عدتهـــا   كالسيل يقذف جلمودا بجلمود (٦)
إن قصر الرمح لم يمش الخطا عددا   أو عرد والسيف لم يهمم بتعريد (٧)
إذا رعى بلدا دانى مناهلـــــه   وإن بنين على شحط وتبعيـــد (٨)
جرى فأدرك لم يعنف بمهلتـــه   واستودع البهر أنفاس المجاويـد (١٠)

فى هذا الجزء من القصيدة يمدح الشاعر ممدوحه القائد بأوصاف ومعان تتفق ومنصبه السياسى الذى يمثله ويصفه كذلك بأوصاف ومعان عامة مشتركة وراح الشاعر يستخرج كثيرا من المعاني الدقيقة الجزئية من المعنى العام، فالشاعر يدور فى أبياته حول وصف الممدوح بالكـــرم

---

(١) التوفيق : التقويم للخير . التسديد : صواب الرأى .

(٢) الملتبس : المتشابه .

(٣) تمنى به الأمور : تيسر له.

(٤) بالمراصيد : جمع مرصاد.

(٥) الهصور : النتور.

(٦) الجلمود : الحجر الصلب.

(٧) عرد السيف : نبا عن ضربه ولم يقطع .

(٨) رعى : ساسى . دانى : قارب . مناهله : منازل الرفاق على الماء . الشحط : البعد.

(٩) البهر : الكلل . يعنف : يتعب . استودع البهر: أنزله بهم.

والشجاعة ورجاحة العقل وراح يفرع من هذه المعانى الكلية معانى جزئية كثيرة مظهرا مقدرته الفذة فى توليد المعانى وإجادتها وإستخراجها من مكامنها كالدرر الثمينة التى يعجز عن إخراجها كثير من الغواصين فى بحرها وذلك من أبرز سمات مسلم وخصائص شعره.

فيذكر الشاعر فى أبياته : أنه بمجرد وصول الناقة إلى بيت الممدوح استقت من ماله حتى روت ظمأها واستعدت للرحيل مباشرة لأنها أخذت ما كانت ترجوه من عطاء فى سرعة عند حلولها بالممدوح دون مطل،ويقصد بذلك نفسه.

وإن الممدوح جواد يعطى العطاء الجزيل وأقل عطاياه أعظم مما يتمناه القاصد منه وأنه يتبع الوعد بالفعل من ساعته من غير ضيق، وأنه لشدته وشجاعته تطفأ نيران الحرب فى الشرق بحرب أنشأها الممدوح فى الغرب، أى يخافه أهل الشرق فيطيعون حينما يسمعون أنه شب نيران الحرب فى الغرب .

وأنه دائما موفق فى الأمور بنصر الله وتوفيقه، وأن رأيه واحد لايختلف عليه وإذا دبر أمرا وضح له عن يقين، وتيسر له الأمور وتستقيم ، وإن كانت غير مستقيمة، وأنه يقدر على العفو والعقوبة معا، ويأخذ كل قوم بما يستحقون، وهو كالليث فى النجدة ووقت إشتداد الحرب بل الليث شبيهه، وأنه دفع المنايا بالمنايا كما يدفع الحجر بمثيله الذى ينطحه، وإن تقصر رمحه عن إدراك من أراد طعنه أمده بباعه، وإذا أصاب بلدا أمنه. وأنه سبق الرجال فى المجد بغير جهد فكيف به الحال إذا أجهد نفسه؟.

ثم راح الشاعر يمدح قومه" آل المهلب" ويشيد بهم وبأمجادهم- كعادته فى مدح ممدوحيه- وذلك لأن الممدوح تجلهم ونسلهم فيكون مثلهم[١].

ثم راح الشاعر يشرح سياسة الممدوح الحربية ويبين الخطط التى اعتمد عليها فى سبيل التغلب على أعدائه ويصف حروبه ومعاركه المتتالية فى" أفريقيا" و " السند" مستقصيا فى وصفه مدققا فى تحليله محللا نفسيات الأشخاص تحليلا نفسيا بارعا ذاكرا أسماءهم وأسماء المعارك التى دارت معتمدا على الواقع زالمشاهد الحقيقية إعتمادا كبيرا فى وصفه وتحليله للأحداث ، فيقول :

داويت من دائها " كرمان " وإنتصفت ... بك المنون لأقوام مجاهيـــد[٢]
ملأتها فزعا أخلى معاقلهـــا ... من كل أبلغ سامي الطرف صنديد[٣]
لما نزلت على أدنى بلادهـــم ... ألقى إليك الأقاصى بالقاليـــد[٤]
لستهم بيد للعفو متصـــل ... بها الردى بين تليين وتشديـــد
أتيتهم من وراء الأمن مطلعـــا ... بالجبل تردى بأبطال مناجيـــد[٥]
وطار فى إثر من طار الفرار بـــه ... خوف يعارضه فى كل أخـــدود[٦]
فاتوا الردى وظبات الموت تنشدهـــم ... وأنت نصب المنايا غير منشـــود[٧]

---

(١) أنظر أبياته ص ١٦٠ ديوانه.

(٢) كرمان : اسم بلد بين فارس وسجستان وخراسان . أنظر ص ٣٦٤ جـ٤ معجم البلدان . نافق أهلها على أمير المؤمنين فقتلهم ورجع -من بقى منهم إلى الطاعة . المحاهيد : جمع : مجهود وهو الذى بالغه الجهد.

(٣) أبلغ : متكبر سامى الطرف : مرتفع الطرف من العز. صنديد : سيد.

(٤) المقاليد : المفاتيح .

(٥) مطلعا : ظاهرا . تردى : تجرى. مناجيد: أعزاء.

(٦) الأخدود : الحفرة فى الأرض كالخندق .

(٧) فاتوا الردى : أفلتوا من الموت غير . منشود : غير مطلوب . ظبات، الموت :سيوفه. تنشدهم : تطلبهم وتريدهم .

ولوتلبث " ديان " لهـــا رويت ... منه ولكن شآها عـــدو ومزؤود [١]

أحرزه أجل ماكاد يحـــــرزه ... فمر يطوى على أحشائه مفؤود [٢]

ورأس " مهران" قد ركبت قلتـه ... لدنا كفاه مكان الليت والجيـــد [٣]

قد كان فى معزل حتى بعثت لـه ... أم المنية فى أبنائها الصيـــد [٤]

أجن أم أسلمته الفاضحات إلـى ... حد من السيف من يعلق به يود [٥]

الحقته صاحبيه فاستمر بهـــم ... ضرب يفرق ضبات القماحيـــد [٦]

أعذر من فر من حرب صبرت لها ... يوم " الحصين "شعار غيرمجحود

يوم استضبت سجستان طوائفها ... عليك من طالب ووترا ومحقود [٧]

ناهضتهم ذائد الإسلام تقرعهـم ... عنه ثلاث ومثني بالمواحيـــد [٨]

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

إلى أن قال:

يوم جراشة إذ " شيبان"موجـفة ... ينجون منك بشلو منه متـــدود [٩]

زاحفته يابن سفيان فكان لــه ... ثناء يوم بظهر الغيب مشهـــود [١٠]

---

(١) "ديان " إسم قائد الأعداء. شآها : سبقها . عد ومزؤود: هروب مرعوب.

(٢) المفؤود : الذى أصيب فؤاده.

(٣) مهران : إسم رجل . القلة : أعلى الرأس والليت : صفحة العنق . والجمع :أليات .

(٤) الصيد: جمع : أصيد وهو الشريف .

(٥) الفاضحات : الأماني التى أفضحته.

(٦) الضبات : أوصال الرأس . القماحيد : عظام مؤخرة الرأس.

(٧) استضبت : أغزت . سجستان : قبيلة .

(٨) تقرعهم : تضربهم . المواحيد : جمع موحد.

(٩) موجفة : سريعة تهرب . شيبان : قبيلة . جراشة : رجل . شلو : جسد . قدد: قطع بالسيف.

(١٠) ابن سفيان : رجل من أصحاب داود.

نجا قليلا ووافى زجر عائفـــه بيومه طير منحوس ومسعود (١)
ولى وقد جرعت منه القنى جرعا حى المخافة ميتاغير مــوءود (٢)
زالت خشاشته عن صدر معتدل دانى المعوب بعيد الصدر أملود (٣)

إلى أن قال:

وأنت "بالسند" إذ هاج الصريخ بها واستنفدت حربها كيد المكاييد (٤)
رددت أهمالها القصوى مخيسه وشمت بالبيض عورات المراصيد (٥)

ففى هذه الأبيات يحكى لنا مسلم ويصف معارك الممدوح وصفا مفصلا ذاكرا الوقائع الحربية بأسمائها والقواد بأسمائهم والمدن بأسمائها كذلك، وقدتتبع فيها الشاعر أحداثها المتتالية واستقصى حوادثها حتى ليؤلف بأبياته قصة حربية حقيقية تتضح فيها جميع عناصرها بوضوح تام.

وقد بين الشاعر بذلك مدى مقدرة الممدوح العسكرية وشجاعته الفنية وحنكته الحربية والساسة وراح يبرز فى أبياته صفات القائد الحربى الشجاع ومايتصف به من قدرة قيادته للحرب ومن حسن سياسية الرعية أثناء الحرب وبعدها، فالقائد قوى يفتك بالخارجين ولكنه يعفو عن الطائعين والمستسلمين أيضا.

---

(١) العائف : الذى يزجر الطير .

(٢) ولى : هرب . جرعت : شربت . غير موءود : غير مدفون .

(٣) زالت : نحت الخشاشة : بقية الشيء . أملود : أملس.

(٤) الصريخ : المستغيث .

(٥) إهمالها : صعبها . مخيسة : مذللة .

وفى بقية أبيات القصيدة - وبعد أن سرد الشاعر بعض حروبه ووقائعه - أخذ يمدح الممدوح مثنيا عليه مشيدابسياسته مظهرا دفاعه عن الإسلام وتأديب الخارجين وتأمين الدولة، داعيا الله له بالبركة فى حياته وأن يبقيه ذخرا للدين مشيدا بسداد رأيه مشيرا إلى رغبته، فى عطائه وكرمه لأن من طلب جودا وجده عنده وحينما يعطى فإنه يجزل العطاء وعود الآخذين على ذلك.

وقد صاغ لنا مسلم قصيدته بألفاظ جزلة فخمة مكثرا فيها من استخدام الألفاظ المعجمية وبأسلوب قوى متين متماسك مؤتلف ومستو، فلا نبو ولا نفور ولا قعقعة فى لفظ أو تركيب أو معنى أو صورة . وقد آعتمد الشاعر على ألوان البديع وألوان البيان فى تصوير صوره وإبراز معانيه، وقد استخدم الطباق والجناس ومراعاة النظر والتشبيه والإستعارة والكناية استخداما لطيفا فى أبياته .

وتزخر أبياته بالمعانى الجديدة والصور المبتكرة الجميلة التى افتض بكارتها الشاعر لأول مرة فضلا عن استخدامه لمعانى الأقدمين وصورهم وقد كساها بثياب ألفاظه الجديدة فبدت هى الأخرى وكأنها جديدة.

وفى مدحته "لداود المهلبى" استخدم الشاعر صفات ومعانى خاصة بالممدوح باعتباره قائدا من قواد الدولة العباسية كوصفه له: بالحنكة الحربية ونفاذ البصيرة وإقدامه على الحرب دون خوف وتأمين الدولة من عبث الخارجين عليها...الخ كما وصفه بمعان عامة: مثل الكرم والجود والشجاعة والعفوعند المقدرة كما أضفى على الأبيات مشاعره الذاتية وعواطفه الشخصية تجاه الممدوح وإفصاحه عن الهدف الذى يسعى إليه من مدحه .

وتعد هذه القصيدة من مشهورات الشاعر وقد سارت أبياتها وتناقلتها كتب الأدب ومصادره وهى - بحق- تعد من عيون قصائد المدح فى عصر الشاعر وفى الشعر العربى كله لما فيها من براعة فى نسجها وروعة فى معانيها وصورها وخيالها.

ومن مدائحه قصيدته التى مدح فيها " منصور بن يزيد الحميرى" وهى قصيدة رائعة استهلها بالوقوف على الديار وبكاء الأطلال ووصف ماآلت إليه الديار بعد رحيل الأحبة عنها حيث غيرت الأمطار والرياح معالمها وأصبحت موحشة أثارت حزنه وألمه عليها وهيجت مشاعره وذكرياته الماضية التى قضاها فى ظلها ووصف المحبوبة وتغزل فيها وراح يتألم لفراقها ويطلب السقيا لأيامها ثم انتقل إلى وصف ناقته التى ركبها وأوضح ماعانته من مشقة وتعب وهزال ووصف رحلته فى الصحراء وماكابده فيها حتى وصل إلى الممدوح فى أربعة عشر بيتا من قصيدته.

ونراه ينهج نهج الأقدمين فى قصيدته ويحذوهم حذوا دقيقا ويتمسك بشكل القصيدة التقليدى تمسكا كبيرا ويكرر المشاهد البدوية والصحراوية فى مقدمته كأنه شاعر جاهلى أقام فى البادية وسكن فيها، فيقول فى مقدمته:[١].

هاجت وساوسه "برومــــة " دور ... دثر عفون كأنهن سطـــور[٢]
أهدى لها الإقفار حتى أوحشت ... من بعد أنس زائر وغيــور[٣]

---

(١) ص ٢٢٠- ديوان مسلم ، من بحر : الكامل .

(٢) هاجت وساوسه : وساوس نفسه. رومة : موضع .دثر :بوال. عفون : درسن وتغيرن

(٣) الإقفار : الخلاء الموحشة .

جرت الرياح بها وغير رسمـــــها	هزم الكلا دانى الرباب مطير [١]
أبكى نعم أبكاه ربع باللــــوى	تسفى عليه مع العجاج المور [٢]
خلت الديار وكان يعهد أهلهـــا	وأجد بالأحباب عنها مسير
تالله ما إن كاد يقتلنى الهـــوى	لولا رسوم بالعقيـــق ودور [٣]
ولقد تكون بها أوانـس كالدمي	بيض الترائب ناعمات حـور

ويمضى فى مقدمته على هذه الشاكلة كأنه شاعر بدوى جاهلى فى نهجه وألفاظه وأسلوبه ومعانيه لايختلف فى شىء عن الجاهليين، إلى أن تخلص إلى مدح ممدوحه بقوله.

حتى يزرن مهذبا من " حميـر "	بالزائرين فناؤه معمـــــور
ملك إذا استعصمت منه بجبله	خضعت لديك حوادث ودهور
ملك يمير السائلين بسيبـــــه	وبسيفه سبع الفلاة يميـــر [٤]
ملك يجل " نعم " إذا ماقالهـــا	حتى يحود ومالها تغييـــر
منع العيون فما تكاد تبينـــه	من وجهه الإجلال والتوقيـر [٥]
حمل الصنائع عن قبائل "يعرب"	ملك أصابعها إليه تشيـــر

إلى أن قال:

قد كان شمل المال غيـر مشتت	حينا فشتت شمله منصـــور

(١) الكلا : جمع كلية وهى رقع المزادة التى عند أصول عراها . الرباب : سحاب صغير.

(٢) اللوى : إسم موضع. العجاج : الغبار . المور : الغبار أوالتراب تثيره الريح.

(٣) العقيق : إسم مكان

(٤) يمير : يمد بالطعام والمعاش.

(٥) يجل نعم : يعظم قول نعم .

سنى " يزيد " له البناء فشـــاده	وإليه أعناق المكارم صـــور [١]
لايبلغ الدنيا كثير عطائـــــه	وقليله عند الكثير كثيـــر
يا أيها الملك الذى أضحى لـــه	غرر المدائح فى البلاد تسير
أشربت أرواح العدى وقلوبهـــا	خوفا فأنفسها إليك تطيـــر
وذعرت صرف الدهر حين ضمنتـه	فالدهر منك وصروفه مذعور [٢]
ياابن التتبابعة الملوك أولى النهى	مامثلهم فى سالف مذكـــور
كم من أب لك ماجد من"حميـــر"	جزل النوال عطاؤه مشكـــور
يامن يجير من الزمان وصرفـــه	من ذا سواك من الزمان يجير
نفحات كفك لم تزل مذكــــورة	تشقى بهن جماجم وبـــدور
كم رائحين إليك آبوا بالغنـــى	وغدوا عليك وحظهم موفور
قوم هم موت إذا ماحاربـــوا	قوما وإما سالموا فبحـــور
جابوا البلاد وأهلها خول لهـــم	مستسلمين فمطلق وأسيـــر [٣]

إلى أن قال :

كانوا الملوك بنى الملوك وراثـــة	والملك فيهم لايزال يـــدور
أعطاهم ذل المقادة قيصــــــر	وجبى إليهم خرجه " سابـور"

يمدح " مسلم " ممدوحه ويشيد بكرمه وجوده وقوته وشجاعته، والكرم والشجاعة من أهم الصفات التى إهتم بها مسلم فى قصيدته بل فى مدائحه بوجه عام وغالبا ماكان يركز عليهما ويستخرج منهما معانى تدور فى معنيهما الأصليين، فممدوحه كريم جواد وبيته مملوء بالزائرين، وأنه شتت المال وبدده بجوده وكرمه ولايبلغ الدنيا كثير عطائه وكم أغنـــى

(١) صور : مائلة .

(٢) ذعرت : أخفت وأرعبت .

(٣) جابوا : قطعوا . خول : مماليك .

من قاصدين إليه، وهو قوى شجاع : يحمي كل من يلوذ بحماه، ويخاف منه سبع الفلاة، وأشرب أرواح الأعداء خوفا وقلوبهم فزعا، وأخاف الدهر وأفزع صروفه.

ثم وصفه بالإجلال والتوفير وراح يشيد بنسبه وأصله العربى العريق، فهو ينتمى إلى"التبابعة" ملوك "اليمن" القدماء وينتمى إلى " حمير " العربية المشهورة، وكم لآبائه وأجداده من مفاخر ومآثر فى ساحات الحروب وأيام السلم، فهم فى المعارك الموت نفسه وفى السلم بحور فى الكرم والجود، وأنهم ورثوا الملك أبا عن جدوقد انقاد لهم ذلة وخضوعا" قيصر " ملك الروم و "سابور " ملك الفرس .

وهكذا بلغ " مسلم " بممدوحه عنان السماء وارتقى به إلى العلا متكئا فى مدحه على خياله وفكره وعلى التاريخ القديم الذي استمد منه بعض أفكاره، ومدحته رائعة رائقة تحدوها البلاغة ويصحبها البيان وتفيض عذوبة . وروعة فى مبانيها ومعانيها على السواء، وكم فيها من المعانى المبتكرة والصور الجديدة التى جاء بها "مسلم " من مخيلته وحضارة عصره أو استقاها من التراث العربي القديم وألبسها حلله الثمينة فبدت وكأنها جديدة، وقد جمع فيها" مسلم " بين القديم والجديد، فنهج نهج القدماء فى المطلع والأسلوب القوى والألفاظ الدخمة وراعى حضارة عصره وماجد فيه واستقى منه معانيه وصوره وخياله أو بعضها وتبدو فى الأبيات صنعة "مسلم " واضحة جلية - كما هو شأنه - حيث يكثر من استخدام ألوان البديع - خاصة الطباق والجناس - ويعتمد عليها فى تصوير صوره وإبراز معانيه وإن جاءت كلها حسنة فلا فساد فيها أو فساد منها، كذلك اعتمد الشاعر على ألوان البيان من تشبيه وإستعارة وكناية وظهرت فى أبياته مبالغاته فى إضفاء صفاته على ممدوحه وإن كانت كلها مقبولة تقبلها العقول وتستطيبها الأذواق، كما

نحس فى الأبيات انسجام الموسيقى الداخلية مع الموسيق الخارجية فأحدثت نوعا من الوقع الموسيقى الذى تميل له الرؤوس وتهش له النفوس.

ومن مدائحه الرائعة مدحته التى مدح فيها: " زيد بن مسلم الحنفى" والتى استهلها بمقدمة غزلية عفيفة وصف فيها حبه وشوقه ومايعانيه من ألم لصد حبيبته حتى غرق فى بحر حبه ولم ينقذه أو يساعده أو يغيثه، ثم انتقل بعد ذلك إلى وصف الخمر وماتحدثه من آثار على شاربيها فى ثلاثة وعشرين بيتا خلص منها إلى مدح " زيد" بقوله : [١].

فمن لامنى فى اللهو أو لام فى الندى ... أبا حسن " زيد " الندى فهو ألـــوم
لعمرى لقد بذ الكرام فما لـــــه ... نظير إذا عد الأكارم يعلــــــم
لئن أحرز العلياء " زيد " فقبلـــه ... حواها "أبو زيد" أخو الجود "مسلم "
وما الناس إلا اثنان فيه فراغـــب ... إليه ومجهود الصنيعة مرغـــم
فتى لا ترى كفاه للمال حرمــــه ... إذا لم يكن فى كل يوم يقســـم
إذا حل أرضا حلها البأس والنـــدى ... فأيسر ذو عسر وعز مهضـــم[٢]
ولم تر قوما حاربوه فأدركـــــوا ... نجاة ولا قوما رجوه فأعدمـــوا
وما مر يوم "قط" إلا جرت بــــه ... على الناس من كفيه بؤسى وأنعم
أثار حروب المال بالبذل والنـــدى ... فنيرانها فى كل يوم تضـــــرم
جبان عن الإمساك غير تخلـــق ... وفى البذل والإعطاء ليث مصـمم
تسر بوفد السائلين كنـــــوزه ... ليحويها منهم بخيل ملــــوم
ومثر من المعروف والبأس والندى ... عديم من السوءات والبخل مصرم
كفى البخلاء السائلين بجـــوده ... وقصر عنه الجائدون فأحجمـــوا
تبلج للإشراق بيضا وجوههـــا ... إذا ذكرت "زيدا" عبيد وأرقـــم

(١) القصيدة : ص ١٧٦- ١٨٣ ديوان مسلم . من بحر : الطويل .

(٢) المهضم : الذى اهتضمه العدو : أى أنتقص ماعنده.

يركز " مسلم " فى هذه الأبيات على وصف ممدوحه بالكرم والجود تركيزا واضحا حيث يكثر من استخدام المعانى والصور التى تبرز كرم الممدوح إبرازا كبيرا، فنراه حينا يصفه بأنه بذ الكرام فى جوده وأنه ابن الكريم الذى سبقه فى الجود، وأنه مطمع الراغبين فى عطائه، وأن كفاه لاترى حرمة للمال، وإذا حل أرضا فقد حل فيها الندى، ولايمر يوم إلا وله نعم بها على الناس، بل إننا نراه أيضا يستعير معانى الشجاعة للكرم والجود فى قوله:

أثار حروب المال بالبذل والنـــدى	فنيرانها فى كل يوم تضــــرم
جبان عن الإمساك غير تخلـــق	وفى البذل والإعطاء ليث مصمم

حيث يظهر الممدوح وكأنه فارس شجاع يخوض حربا يبذل فيها أمواله ويزيد فيها عطاءه ويعمه على الجميع، كما يجعله ليثا فى الإعطاء والبذل والليث يشبه به فى الشجاعة ومواضع الإقدام .

ولم يسبق " مسلم " شاعر فى هذا المعنى الذى أجاد فيه وسبق إليه، حيث استعار معانى الشجاعة للكرم، كما استعار أيضا معانى الكرم للشجاعة فى قصيدته التى مدح فيها:" داود المهلبى " والتى ذكرناها. حيث يقول فيها:

تجود بالنفس إن ضن الجواد بها	والجود بالنفس أقصي غاية الجود

فقد استخدم معانى الجود والكرم فى موضع الشجاعة والإقدام .
ثم يستمر الشاعر فى وصف الممدوح بالكرم على صور متعددة : فيرى أنه مثر من الندى وعديم من البخل وأنه يكفى السائلين بجوده.

وهو بجوار وصف ممدوحه بالكرم والتركيز على ذلك، يصفه أيضا بالشجاعة والبأس وأنه يمطر على أعدائه دما و إذا حل أرضا حل فيها البؤس ولم يحارب قوما إلا وهزمهم وقضى عليهم. إلا أن معانى الكرم تستحوذ على النصيب الأوفى فى أبياته ، وذلك يتناسب مع نفسية الشاعر وحقيقة مشاعره فإنه يريد كرمه وعطاءه ومال الممدوح هو الرغبة الحقيقية للشاعر وهو ما يأمله ويرجوه بل هو الذى حركه وإرتحل إليه مادحا من أجله.

ثم يستمر الشاعر فى أبياته يمدح الممدوح ويشيد بقومه ويعدد أمجادهم ثم يفرد الحديث عنه ويشيد بشجاعته فى ساحات المعارك وحسن بلائه فيها ثم يفصح الشاعر فى نهاية القصيدة عما يأمله فى داخله ويرجوه من الممدوح بقوله:

أبا حسن أصبحت مالى وسيلة	إليك ولا حبل سوى الود مبـــرم
عطاءك موفور وعرفك واســع	وعرضك ممنوع ومالك مسلـــم
وفعلك محمود ومجدك شامـخ	وجودك موجود وبحرك[1] خضرم

ولقد برع الشاعر فى أبياته براعة معدومة النظير وصاغ لنا دررا من المعانى والصور والأخيلة التى جاء بها من مخيلته واستسقى أصولها من التراث الشعرى القديم، والشاعر – كعادته – يستخدم الألفاظ القوية الفخمة والأسلوب المحكم المتين والوزن العروضى الطويل الذى يتلاءم وشعر المدح شأنه فى ذلك شأن الفحول من شعراء العربية السابقين، ولقد أكثر من استخدام الصنعة البديعية فى أبياته إلا أنها كانت رائعة زانت أبياته وجملتها ومزجتها بماء من الذهب.

---

(١) خضرم : كثير الماء . ورجل خضرم : كثير العطاء .

ومن مدائح " مسلم " فى زيد بن مسلم الحنفى " قصيدته التى بدأها بوصف الخيال وطيف المحبوبة الذى زاره فهيج حبه وآلمه وذكره بمحبوبته ثم أخذ يتغزل فيها مبرزا مفاتنها وعناصر الجمال منها ثم انتقل إلي وصف الخمرة وصفا مستفيضا وتحدث فى وصفه لها عن مجلسها الذي أعده الندماء بين الكروم ووصف ما دار فى هذا المجلس من غناء وقيان ولهو مصورا نشوة الخمر وأثرها على شاربيها ومفصحا عن أن كل واحد فى المجلس قد انفرد بقينة جميلة ناعمة حية خالية من الحلى ضامرة البطن عجزاء مضيئة كالشمس ثم عاد إلى وصف الخمر مرة أخرى ووصف ساقيها وأدواتها مصورا حالته الشخصية والنفسية ثم تخلص إلى وصف ممدوحه بعد مقدمته الطويلة التى بلغت تسعة وأربعين بيتا من جملة القصيدة التى تبلغ ثلاثة وثمانين بيتا، حيث نلاحظ طغيان أبيات المقدمة على أبيات المدح - الغرض الأصلى للقصيدة - طغيانا واضحا.

وقد استهل الشاعر قصيدته هذه بقوله :[(١)].

طرق الخيال فهاج لى بلبـالا	أهدى إلى صبابة وخيـالا
أنى اهتدى حتى أتانى زئرا	متنكرا يتعسف الأهـوالا ؟
بأبى وأمى من طلبت نوالـه	إذ زارنى فأبى على دلالا

إلى أن بدأ مدح ممدوحه بقوله:

لما رأيت الناس قد تركوا العلى	بخلا وبعضهم يريد سفالا[(٢)]
رعت الزمان بسيد من"وائـل"	واحتلت للحدثان لما غالا[(٣)]

---

(١) ص ٢٠٠-٢٠٨ ديوان مسلم . من بحر : الكامل.

(٢) يريد سفالا: يتسفل ولايعلو فى شرف.

(٣) رعت : أفزعت . الاحتيال: طلب الرزق عند الممدوح . غالا : أهلك .

فأتيت قرما من "حنيفة" لم يزل ... يعطى يمينا مرة وشمالا [(١)]

فإذا الرجال رأته يوما بارزا ... أغضت له أبصارها إجلالا

ذاك الذى قمع الزمان بعزه ... وعلا بسيف أمانه الزلزالا [(٢)]

غلب الرياح فما تهب ببابه ... يوما إذا هبت صبا وشمالا

ولو أن فى كبد السماء فضيلة ... لسما لها "زيد" الجواد فنالا [(٣)]

باق على حدث الزمان كأنه ... ذو رونق عضب أجيد صقالا

تلقاه فى الحرب العوان مشمرا ... كالليث يجمع حوله أشبالا

وترحلت معه المكارم كلها ... لما أجد فأزمع الترحالا [(٤)]

يا "زيد" آل يزيد ذكرك؛ سؤدد ... باق وقربك يطرد الأمحالا [(٥)]

نفحات كفك ياذؤابة "وائل" ... تركت عليك الراغبين عيالا

الناس فى سلم وأنت تكرما ... للمعتفين تحارب الأهوال

يابن الذين هم الذين إذا انتموا ... ذاد الأفاضل مجدهم فضالا

وإذا تعد خؤولة ألفيتهم ... خير البرية كلها أخوالا

لو كان أدركك الألى بذلوا الندى ... جعلوا يمينك للسماح مثالا

أحييت "عثمانا و"مسلما" اللذى ... بذّ الملوك وبدد الأموالا

ولقد بنى لك فى الذرى من وائل ... أبيات مجد ماترام طوالا

والقصيدة طويلة ورائعة صب فيها"مسلم" كل طاقات البلاغة وأدوات الشاعرية حتى أخرج دررا ولآلى مضيئة فى صفحات القريض.

---

(١) القرم : الكريم الماجد .

(٢) قمع : قهر. الزلزال : الشدة.

(٣) كبد السماء " المجرة.

(٤) أزمع : نوى . الترحال : الرحيل .

(٥) سؤدد: شرف ورفعه.

ولقد كان الشاعر رائعا مجيدا فى كل عنصر من عناصر القصيدة، فمعانيه رائعة ويكثر فيها من المعانى المبتكرة الجميلة وصوره آخذة بالقلوب والعقول، وألفاظه فخمة رائعة وتنبع من طياتها موسيقى خفية وتنسجم مع الموسيقى الخارجية للقصيدة فى وحدة وتآلف وإرتباط وثيق وذات وقع ورنين قوى يتلاءم مع قوة المدح وقوة الأسلوب.

لقد أبدع الشاعر حقا فى قصيدته وسما بالممدوح حتى فاق به عنان السماء: فإنه يخيف الدهر ويرعبه به، وتخفض أبصار الرجال حين رؤيته إعظاما وإجلالا، وأنه قمع الزمان بعزه، وعلا بسيف أمانه الشدائد، وغلب الرياح بقوته وشدته، وبلغ من خوفها منه أنها كانت تتجنب بابه، وأنه نال الفضائل كلها ويسعى لها ولو كانت فى كبد السماء، وهو فى الحرب ليث حوله جمع من الأشبال،ويرحل الجود والمكارم حين يكون، وذكره شرف، والقرب منه يطرد الشدائد، وأنه ذؤابة قومه ، ونفحات كفه تركت الراغبين عليه عيالا، وأنه يحارب فقر المحتاجين بجوده وكرمه فى الوقت الذى يضن فيه الآخرون - ونراه هنا يمزج معانى الكرم بمعانى الشجاعة ويستعير معانى الشجاعة للكرم وهذا فى حد ذاته جديد كل الجدة سبق إليه الشاعر- ثم أخذ يشيد بنسبه وقومه ويعدد أمجادهم، فهو ابن الأفاضل الأمجاد الذين زاد مجدهم الأفاضل إفضالا، وأنه خير البرية نسبا ولو أدركه أهل الجود الأوائل لجعلوه مثالا للجود والسماح.

ثم راح الشاعر فى بقية أبياته يشيد بشجاعة الممدوح وكرمه وسماحته ويختم القصيدة بإفصاحه عن رغبته فى عطاء الممدوح وأنه يستطيل به على الزمان وأنه أمل منه عطاياه لأن الدهر قد رماه بنكبته.

فالشاعر قد مدح الممدوح ووصفه بصفات خاصة تتعلق بمنصبه وموقعه السياسى كما وصفه بصفات عامة يوصف بها كل ممدوح كما عبر عن مشاعره وعواطفه نحوه وأفصح عن رغبته ومابداخله.

ومن مدائحه مامدح به"محمد بن منصور بن زياد " كاتب "البرامكة" وخليفة " الفضل بن جعفر البرمكى " بباب " الرشيد"، وقد مدحه الشاعر بقصيدتين ومقطوعتين كما جاء فى ديوانه.

وتبلغ قصيدته الأولى واحدا وتسعين بيتا وقد استهلها بمقدمة تحدث فيها عن الشباب وانقضاء أيامه فقعدت به عن وصال الحسان الناعمات وراح يدعو نفسه إلى التوبة عن حياة اللهو الماضية كما راح يشكو خلالها همومه وجهل الزمان عليه، ثم انتقل إلي وصف ناقته التى نقلته من موطن الهموم إلى ممدوحه وراح يصفها معددا فضائلها واصفا سرعتها وقوتها وتعبها حتي وصلت إلي الممدوح ثم خلص إلى وصف الممدوح بقوله: [١].

حط الركاب إلى جناب "محمد" ... من جنح ليل كالغمامة أربد [٢]

نهض "ابن منصور" فأدرك غاية ... قعدت مآثرها بكل مسود [٣]

ملك إذا الغايات مدت شأوه ... سبق الجياد وفات كل مقلد [٤]

أعطى فما تنفك تنزع همة ... أملا إليه من المحل الأبعد

---

(١) ص ٢٣٠-٢٣٧ ديوان مسلم . من بحر : الكامل.

(٢) أربد : أسود .

(٣) مسود : مشرف.

(٤) المقلد: السابق من الخيل يقلد شيئا ليعرف أنه سبق.

سبقت عطيته منى مرتادهــا　　واستحدثت هما لمن لم يرتــد (١)
تلك العلا حكمن فى أموالــه　　فأغضنه منها جوار الفرقــد (٢)
زاد " الزياديين" جود" محمــد"　　شرف الحديث مع القديم الأتلـد

إلي أن قال:

أغنى عن البخلاء مبتدر الغنى　　وكفى المقصر منحة المتجـــود
لايدفع الأمل القريب لعــوده　　فى حين دفع الغيث حمد الــرود
يتجنب الهفوات فى خلواتــه　　عف السريرة غيبه كالمشهـــد
أخذ الأمور بعينه وضميــره　　حتى أقام لهن قصد المــورد
وله إذا أفنى السؤال مذاهــب　　فى الجود تبحث عن سؤال المجتدى
متفتق الآراء فى جمع الهــوى　　يخرجن من نجوى ضمير أوحــد

حيث يشيد الشاعر بممدوحه فى هذا الجزء من قصيدته ويركزعلى صفة: الكرم " وينتزع منها صورا عديدة يصف بها ممدوحه : فالممدوح يعطى قبل السؤال ليريح سائله، وهو كثير البذل والعطاء لأنه يبغى أن يصل بهذا العطاء إلى ذرا المجد والشرف – فالعلاتتحكم فى أموال الممدوح حتى تصل بصاحبها إلى أعلى الدرجات، وأنه بجوده وكرمه زاد آباءه وأجداده شرفا، وأنه بجوده أغنى السائلين طلب البخلاء، وأنه لاينتظر مجيء السائلين ليعطيهم بل يبحث عنهم بنفسه ليعطيهم مايريدون من مال في الوقت الذى يضن الناس فيه بالعطاء – وهذه ظاهرة نفسية رددها "مسلم " فى مدائحه كثيرا واهتم بها اهتماما كبيرا لأنها تعبر عما كان يعانيه فى حياته من فقر وحاجة – ثم وصف ممدوحه أيضا بالشجاعة وعراقة الأصل وطيب النسب ونفاذ البصيرة والعفة وتجـــنب

(١) مرتادها : طالبها.
(٢) الفرقد : نجم .

الهفوات واتفاق مظهره مع مخبره - مغيبه كمشهده - وأنه متفتق الآراء يتسم بالتأنى والتمحيص فى الأمور والتدقيق فى الأحداث.

ثم يستمر الشاعر فى بقية القصيدة مشيدا بممدوحه معددا أمجاده وفضائله : فهو يتغمد الأيام فى وثباتها،وثبت المقام ، لايشتكى ألم السنين،لا يرد مكرمة - وهو أعظم الناس وأكرمهم ، لايعبأ بالدنيا ولايهتم بزينتها، غمر البديهة، متعذر الهمات، يعفو عند المقدرة، يعطى حتى يمل سائله من كثرة عطائه، عظيم المجد دائما.

ثم راح يشيد بقوته وشجاعته فى ساحات المعارك والحروب ويخص منها " معركة الصفصاف " [١] التى دارت بين المسلمين والروم " ويستخرج من الشجاعة صورا ومعانى كثيرة يصف بها الممدوح حتى يصوره بطلا مغوارا وفارسا شجاعامن فرسان المعركة.[٢].

ثم راح يشيد بأبيه " منصور بن زياد " ويظهرشجاعته فى ساحات المعارك ويذكر حروبه وانتصاراته التى حققها على أعداء الاسلام وأمن بها الدولة ودعم الخلافة، ويخص فى ذلك حروبه التى خاضها ضد الخارجين فى شمال " أفريقيا " الذين خرجوا على واليها من قبل " الرشيد " وهو " الفصل ابن روح " حيث هزموه وقتلوه فى " القيروان " بعد أن حاصروه فيها، فأرسل "الرشيد " منصور بن زياد" بجند من العراق إلى الشمال الأفريقى وإستطاع أن يهزم الخارجين شر هزيمة ويشيع الأمن والأمان هناك[٣].

---

(١) الصفصاف : إسم بلد ، وهي كورة من ثغور المصيصة ، جـ٣ ص ٤٠١ معجم البلدان .

(٢) أنظر ديوانه ص ٢٣٥- ٢٣٦.

(٣) أنظر بقية القصيدة : ص ٢٣٦- ٢٣٧ ديوان مسلم .

فالشاعر قد أشاد بممدوحه وعدد مكارمه وفصل مظاهر شجاعته ووصفه بأوصاف أخرى عديدة وضحناها كما تعرض للإشادة بأهل الممدوح وأشاد بهم وخص أباه " منصور " بجانب كثير من أبياتها أشاد فيها بشجاعته وفصل القول فى إحدى حروبه التى خاضها لتأمين الدولة وتدعيم أركان الخلافة العباسية.

وهذه سمة من سمات مدح " مسلم " حيث يتعرض غالبا للإشادة بأهل الممدوح وقومه ويعدد أمجادهم وفضائلهم ليوضح أن ممدوحه عريق فى صفاته أصيل فى أمجاده طيب فى غرسه وأن مايتحلى به من صفات وفضائل ليست وليدة اليوم بل ورثها عن آبائه وقومه.

كما مدح الشاعر" ممدوحه " محمد ابن منصور بن زياد " بقصيدة أخرى تبلغ ثلاثة وستين بيتا وقد مهد لها بمقدمة غزلية وخمرية طويلة بلغت ثلاثة وثلاثين بيتا تحدث فيها عن محبوبته وتغزل بها غزلا عفيفا فى أربعة عشر بيتا ثم انتقل إلى وصف الخمر ومجلسها ومايدور فيه من لهو وقصف وغناء فى تسعة عشر بيتا ثم خلص منها إلى مدح ممدوحه بقوله: [١].

" محمد بن منصـــــ	ر " الفتى الجواد
مابعده جـــــواد	لجوده يرتـــــاد
جزل الندى تـــداوى	بحلمه الأحقـاد
كالبدر ليس يغتـــا	ل طوله النجاد
أحيا فعال قـــوم	كانوا هم فـبادوا

---

(١) ص ٢٤٠- ٢٤٤ ديوان مسلم . من مجزوء الرجز.

ويستمر على هذه الشاكلة يصف ممدوحه ويشيد بجوده وكرمه وبنسبه وأصله وآبائه، وشبهه بالبدر والغيث والحيا والبحر مركزا على وصفه بالكرم تركيزا ملحوظا.

وأول مايلفت النظر فى هذه المدحة هو الوزن الذي دارت عليه حيث جعلها على" مجزوء الرجز" ولم ينظمها علي بحر طويل ضخم كما عرف عنه واشتهر به فى مدائحه، وإن ذلك ليعد خروجا من الشاعر عن المألوف عنه والمشهور به، ويعد شذوذا عن القاعدة التى سلكها فى أوزان مدائحه .

وللشاعر مقطوعتان فى مدح ممدوحه غير مامضى : آلأولى وتضم أربعة أبيات (١) وتضم الثانية ثلاثة (٢).

وقد مدح الشاعر" هاشما ابن عم يزيد بن مزيد الشيبانى القرشى" بقصيدة رائعة تبلغ خمسة وثلاثين بيتا وقد مهد لها بمقدمة تمهيدية تحدث فيها عن حياته ولهوه بكل الصدق تاركا نفسه على سجيتها معبرا عن عواطفه ونوازعه متعرضا لوصف الخمر ملما بجميع صفاتها وأدواتها ومجلسها ومايدور فيه من قصف وذلك فى ستة عشر بيتا ثم خلص من ذلك إلى مدح ممدوحه بقوله: (٣).

لاتكذبن فلا جود ولاكـــرم	إلا بكفيك ياريحانه العـــــرب
كم نعمة لك لاتنفك موجبـة	شكرا ومن نقمة لم تنج من عطب
إذا العدا أوقدوا نارا لفتنتهم	أطفاتها بزجاج الخط والقضـب (٤)

---

(١) ص ٢٧٥ ديوان مسلم بن الوليد .

(٢) ص ٢٨٣ ديوان مسلم بن الوليد.

(٣) ص ٢٠٩ -٢١٢ ديوان مسلم . من بحر : البسيط.

(٤) القضب: جمع قضيب وهو السيف. الزجاج:جمع زج الحديدة فى أسفل الرمح ونصل السيف.

فمن يردك بحرب يجنِ عطبـــــا ... ومن آتاك لبذل العرف لم يخـــب[1]

مستذعنين ومستجدين يجمعهم ... رجا إليك دعاهم غير منشعـــــب

بعثت جودا وفضلا فيهم فمضـى ... لم يتركا كربة تبقى لذى كـــــرب

وفى عدوهم سيفا يحاكمهـــم ... فقد أبدتهم بالقتل والهــــــرب

أنت الأمين الذى عمت مكارمـــه ... من حل فى الأرض من عجم ومن عرب

فاسلم على الدهر والأيام محتفظا ... من الكريهات محجوبا مــــن الريب

يازين آل " قصى "وابن سيدهم ... خليفة الله يابن السادة النــــجب

يسمو الشاعر بممدوحه فى أبياته ويرفعه إلي عنان السماء، ويركز معانيه حول وصف الممدوح بالكرم والشجاعة وعراقة الأصل والنسب: فالجود كله بكفيه، وهو ريحانة العرب ، يبلغ المدى فى جوده والنهاية فى بأسه ، قادر على إطفاء كل حرب يوقدها الأعداء، ومحاربه دائما مهزوم هالك ، وراجيه يجد عنده مايريده ، والناس إليه: إما سائلون يرجون العفو وإما سائلون يطلبون العطاء، ويعطى قبل السؤال ويبدد كرب المكروبين بعطائه، ويبدد شمل الأعداء بسيفه، وقد عم كرمه أهل الأرض جميعا من عجم ومن عرب، وأنه زين أهله وقومه، وابن السادة النجب.

ثم راح يدعو ممدوحه أن يقبل مدحه فى أهله وراح يشيد بهم ويعدد إمجادهم، فقد أشاد بابن عمه " يزيد بن مزيد" وأثنى عليه ثناء "عظيما" كما أشاد ببني هاشم وجعل فضلهم أفضل الفضائل كلها وأنهم أفضل الناس جميعا فهم الرأس والناس كلهم أذناب.

وقد صاغ الشاعر أبياته بألفاظ جزلة فخمة وبأسلوب قوى متين مستو محكم النسج والبناء وعلي وزن عروضي طويل ضخم يناسب شعر

---

(١) يجتنى عطبا : يصيب هلاكا.

المدح قوة وهو بحر " البسيط "، وقد أشاع الشاعر فى أبياته ألوان البديع واعتمد عليها فى تصويره وإبراز معانيه خاصة: الطباق والجناس وكانت فى مواقعها الملائمة وحققت الغرض البلاغى منها وابتعدت عن الفساد والإفساد فزادت أبياته جمالا فوق جمال.

ومن أبرز الشخصيات التى مدحها الشاعر: الوزير العباسي :" الفضل ابن سهل" الذى لازمه الشاعر مدة طويلة من الزمن ولبث بجواره يمدحه ويشيد بجهوده وأعماله وإنتصاراته التى حققها فى حياته، وقد أجله" الفضل " وأغدق عليه الأموال والهبات والإقطاعات وولاه أعمالا عديدة فى " جرجان " ثم ولاه " جرجان " نفسها كما قدمنا ذلك من قبل .

فقد جمعت بين الشاعر وممدوحه صداقة قوية وعلاقة وطيدة استمرت مدة طويلة من الزمن ظل الشاعر فيها يمدح " الوزير " ويشيد به إلى أن توفى فلبث فى بيته ولم يمدح أحدا، ولكن ماورد فى ديوانه من أشعار فى مدحه لايليق بهذه العلاقة وتلك الصلة والصحبة القوية والمدة الطويلة التى قضاها الشاعر فى رحاب الممدوح، ومما يدل على ضياع شعر الشاعر فى مدح وزيره ولم يصلنا منه إلا القليل منه.

ومما وصل إلينا من مدحه فى الفضل قوله فيه: (١)

وقائل ليست له همـــــة	كلا ولكن ماله مــــال
وهمة المقتر أمينـــــة	عون على الدهر وإشغال
لاجدة تنهض فى عزمهـــا	والناس سؤال وبخـــال
فاصبر مع الدهر إلى دولة	تحمل فيها حالك الحـال

(١) ص ٢٥٠ ديوان مسلم . من بحر : السريع.

وقد ذكر صاحب " الأغانى هذه الأبيات الأربعة فى كتابه وقال : "أخبرنى الحسن قال: حدثنا ابن مهروية قال : حدثنى إبراهيم بن عبد الخالق الأنصارى من ولد النعمان بن بشير قال : حدثنى مسلم بن الوليد قال: وجه إلى ذو الريا ستين - يعنى الفضل بن سهل - فحملت إليه فقال : أنشدنى قولك :

بالغمر من زينب أطلال　　　مرت بها بعدك أحوال

فأنشدته إياها حتى إنتهيت إلى قولى :-

وقائل ليست له همـــة　　　كلا ولكن ليس لى مـال

وذكر الأبيات الأربعة :(١).

وهذا يدل على أن القصيدة قد ضاع معظمها ولم يبق منها فى الديوان إلا هذه الأبيات الأربعة فقط ويدل على أن شعر الشاعر قد ضاع معظمه ولم يصلنا منه الكثير.

ومن قوله فى " الفضل بن سهل ": (٢)

لو نطق الناس أو أنثوا بعلمهم　　　ونبهت عن معالى دهرك الكتب

لم يبلغوا منك أدنى ماقت بـه　　　إذا تفاخرت الأملاك وانتسبـوا

وحدث صاحب الأغانى قال : دخل" مسلم بن الوليد" على الفضل بن سهل" فأنشده قوله فيه .... وذكر البيتين ثم قال : فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألف درهم " (٣) " وهذا يدل أيضا على أن هذيـــن

---

(١) ينظر الأغانى جـ ١٧ ص ٥١ ومابعدها.

(٢) ص ٣٠٤ ديوان مسلم .

(٣) جـ ١٧ ص ٥٣ وما ديوان مسلم بن الوليد.

البيتين من قصيدة طويلة ضاعت ولم يصل إلينا منها إلا هذان البيتان فقط، وهما بيتان جميلان جمع فيهما الشاعر بين رأى الممدوح الصائب وبين علمه الغزيز.

وقال فى" الفضل بن سهل " من جملة قصيدة :(١)

أقمت خلافة وأزلت أخرى ... جليل ماأقمت وما أزلتا

وهو معنى جميل رائع أوضح فيه الشاعر أثر الممدوح العظيم فى الدولة فإنه يزيل دولة " الأمين: ويقيم عوضاً عنها دولة " المأمون " .

كذلك مدح "مسلم " خازم بن خزيمة " والى مدينة " البصرة " فى زمن الخليفة" هارون الرشيد " ومما قاله فيه: (٢).

بلاءك إنى غير مستعتب الرضى ... ولا مستقل القوت من معذر مبل (٣)

أعافك إن لم يصف عندك مشربى ... وأرعاك إن أمرعت فى جانب سهل (٤)

وإنى لأستحييك بالغيب أن أرى ... خلافك مطوى الضمير على ذحل

سخاءك إنى لم أناجيك فى المنى ... فترجعنى إلا بنائلك الجزل

إلى أن قال:

ذكرت "أبا يحيى " فخاضت بى المنى.. بحور الغنا حتى استرحت إلى الفعل (٥)

وواضح أن الأبيات لاترقى إلى مدائحه السابقة فى معانيها وصورها وعاطفتها، وقد كان كل هم الشاعر فيها طلب عطاء الممدوح وأخذ ماله عدا البيت الأخير الذى يحمل معنى رائعا.

---

(١) ص٣٠٧ ديوان مسلم بن الوليد.

(٢) ص ٢٤٥ -٢٤٦ ديوان الشاعر . من بحر : الطويل.

(٣) مبل : مظهر .

(٤) أعافك : أتركك.

(٥) خاضت : دخلت .

ثانيا : المدح الإجتماعى :

لقد جمعت الصحبة والصداقة بين " مسلم بن الوليد" وبين بعض الشخصيات العامة من ذوى الجاه والثراء، فراح يمدحهم ويشيد بهم فى شعره حتى ينال جوائزهم وعطاياهم : أمثال :" أبى يحيى سهل بن الصباح "و " "مسلمة " ويعقوب بن سعدان " والحسن بن عمران " وغيرهم من الأصدقاء الذين لم يفصح عنهم وجاء الديوان خاليا من ذكر أسمائهم .

وقد تميزت مدائح الشاعر فى هذا اللون من المدح بالإقتصار على الصفات والمعانى العامة المشتركة الشائعة فى فن المدح على إطلاقه، بخلاف مدح الخلفاء أو الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة، فضلا عن أن الشاعر لم يبالغ فى مدحه ولم يتقلل أو يريق ماء وجهه فى سبيل العطاء من هؤلاء الممدوحين لأنه كان يرى نفسه مثلهم إن لم يكن أعظم منهم بخلاف مدحه السابق فى الخلفاء والوزراء والقواد وأعيان الدولة.

كذلك نجد العاطفة الهادئة - لا الملتهبة كما كانت فى مدائحه السابقة - تسيطر على هذا اللون من مدائحه .

ومن هذا القبيل مامدح به " سهلا بن الصباح " بعد أن مهد لقصيدته بمقدمة تحدث فيها عن نفسه ومايعتلج فيها من هموم وآلام بسبب مايعيش فيه من فقر. كما يتحدث عن آماله التى يأملها من غنى وثراء دون أن يذهب ماء وجهه وراح يفخر ويفاخر بخصاله ثم تخلص من ذلك إلى مدح " سهل " بقوله:[١].

---

(١) ص ١١٢-١٢٠ ديوان مسلم - من بحر : الكامل .

بلغنا بسهل ثروة ووسيلة   إلى وفر مال واسع وتفضل
وعند أبى يحيى " غنى لايمنه   وعود متى مايدبر المال يقبل
جواد تفاواه العواذل بينها   ويقصرن - عنه هيبه المتذلل
فتى كرم يعطى وإن قل ماله   ولاتبقى طلابه بالتعلل

ويمضى على هذه الشاكلة يمدح الممدوح بالكرم ويصور ذلك على صور عديدة مظهرا فى أبياته رغبته الشديدة فى عطاء الممدوح ولكن فى كبرياء وأنفة .

ويمدح " يعقوب بن سعدان " بقصيدة مهدلها بمقدمة تحدث فيها عن الشباب والشيب وعن حياته الشخصية ومايعانيه من خطوب وحوادث ويظهر فيها أنه تاب عن حياة اللهو ورجع عن غيه لأن الأيام علمته ذلك، ثم يستعيد ماضيه وأيام شبابه وكيف كان يولع بالحسان إلا أنه لايستجيب للماضى ويفضل العفة وحياة الجد إلا أنه يعود وينصح الشباب بأن يتمتعوا بشبابهم لأن الإنسان لايتمتع بالحياة بعد زواله، ثم يخلص من ذلك إلى مدح الممدوح بقوله(١).

خل المكارم قد كفاك مراسها   سعدانها "وسليله"يعقوب
ذاك الرجاء المستجار بجوده   من نائبات الدهر حين تنوب

ويمضي الشاعر فى أبياته مشيدا بالممدوح مركزا على صفة الكرم تركيزا واضحا إلا أنه مدحه بمعان أخرى مثل : الهيبة وحسن المنظر وطول القامة، والفطنة، والحنكة والبأس والرأى الصائب والحزم والعزم...الخ وقد ظهرت فى أبياته الصراحة فى استجداء الممدوح لنيل عطائه، والشاعر - كعادته- قوى فى ألفاظه ومتين مستقيم رصين فى

---

(١) ص ١١٢ -١٢٠ ديوان مسلم . من بحر : الكامل.

أسلوبه يؤثر الوزن الطويل لمدحته - بحر الكامل - وينثر فيها دررا من ألوان البديع التى زانت أبياته وجملتها .

ويضم ديوان الشاعر أيضا مدائح أخرى غير مامضى إلا أنها مجهولة الممدوح فلم يعرف ممدوحها [1] وكلها تمضى على النمط الذى اتبعه الشاعر فى مدائحه السابقة سواء كان ذلك من جهة الأسلوب والألفاظ والمعانى والصور والأخيلة.

وهكذا مدح " ابن الوليد" فأبدع فى مدحه وكان مداحا مجيدا بارعا استطاع أن يخرج دررا من المديح استحق به أن يقف فى الصف الأول من شعراء المديح فى الأدب العربى .

---

(١) ينظر ديوانه : ص ٨٠ وص٨٨ وص١٠٣ وص٢٥٥وص٢٨١و ص٢٨٥و ص ٢٩٢.

الفصل الرابع

" الخصائص الفنية لمدائحه "

١- مذهب مسلم الفنى

٢- خصائص مدائحه

أ- بناء المدحة

ب - اللغة والأسلوب

جـ - المعانى والأفكار

د - الخيال والتصوير

هـ - الأوزان والقوافى

" مذهب مسلم الفنى ":

عرف الشعراء والأدباء منذ القدم ألوان البديع واهتدوا إليها بفطرتهم وطبيعتهم قبل أن يعرف علم البديع بحدوده ومباحثه وقد نبتت البذور الأولى لألوان البديع فى الجاهلية وجاءت أشعار الجاهليين تحمل هذه الألوان فى طياتها،فقد عرف "امرؤ القيس" والأعشى" وأوس بن حجر" وزهير بن أبى سلمى "والحطيئة" وغيرهم من شعراء العصر الجاهلى ألوان البديع إلا أنها لم تكن ظاهرة بائنة التكلف غير شائعة فى شعرهم وإنما كان يأتى اللون البديعى أحيانا فى بيت أو بيتين من أبيات القصيدة ودون تكلف أو قصد. كما عرف العصر الإسلامى والأموى ألوان البديع المختلفة وجاءت منتشرة فى أشعار شعراء العصرين وإن بدت أكثر ظهورا فى أشعارهم عما ذى قبل "وعلى أية حال فإن هؤلاء الشعراء الأمويين والإسلاميين قبلهم ظلوا جميعا يتناولون الألوان البديعة على طريقة القدماء وإذا أصابوا فيها بعض التطور والتجديد فإن ذلك لم يكن يبينها عن تلك الألوان الجاهلية بينونة" كبرى. فهم لم يصلوا بها وبالبديع التصويرى حد المذهب الفنى الواضح المعالم المحدد الطرق والأهداف [١].

فالبديع لون عربى الأصل والمنشأ عرف منذ العصر الجاهلى ولم يخل شعر القدماء من الأخذ بألوان البديع أو الصناعة اللفظية والمعنوية من جناس وطباق وتورية ومراعاة نظير وحسن تقسيم وغير ذلك من ألوان البديع المعروفة غير أن ذلك كان يقع فى القصيدة بمقدار ومن غير تكلف أو تعمد أو إسراف أو معاناة.

فضلا عما ورد منه فى القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب الجاهليين والإسلاميين وحكمهم وأقوالهم، فالقرآن الكريم يزخر بهذه الألوان البديعة ويفيض بها كما تزخر بها أحاديث

---

(١) ص ٢١٩ صريع الغوانى . د/ عبد القادر الرباعى .

النبى صلى عليه وسلم، فمن ذلك ماورد فى قوله تعالى :" كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور "[١] وفى قوله تعالى: "إعلموا أنّ اللّه يُحْيِ الأَرْضَ بعد مَوْتِها:[٢] وفى قوله تعالى" فأمّا منْ أعْطَى واتّقى وصدّق بالحُسْنى فسنيسِّره لليُسْرى وأمّا من بَخِل واستغْنى وكذّب بالحُسْنى فنيسِّرهُ للعُسْرى " [٣]. ومن ذلك ماجاء فى قول النبى صلى الله عليه وسلم :" الشرْكُ أخْفَى من دبيب الذّرّ على الصّفافى الليلة الظلماء، وأدْناه أن تُحب على شئ من الجور وتُبغض على شئ من العدل وهل الدينُ إلا الحب والبغض؟" وغير ذلك من الألوان البديعية التى يفيض بها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

ويقول عبد الله بن المعتز مثبتا أن البديع قديم المنشأ عربى الأصل:" قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ماوجدنا فى القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا "ومسلما" وأبانواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف فى زمانهم حتى سموا بهذا الإسم فأعرب عنه ودل عليه" [٤].، فالبديع قديم وماهو بالجديد المخترع.

(١) سورة إبراهيم . الآية رقم ١.

(٢) سورة الحديد. آية رقم ١٧.

(٣) سورة الليل. الآيات: من ٥ : ١٠.

(٤) ص١ البديع .لابن المعتز . طبعة لندن عام ١٩٣٥.

غير أن شعراء العصر العباسى الأول قد شغفوا بالبديع وأغرموا به واندفعوا بقوة إليه وأوغلوا فيه بعد أن عرفوا وقعه فى الآذان وإقاعه فى النفوس وكثرت ألوانه فى أشعارهم كثرة تلفت النظر وتثير الانتباه.

ومن هؤلاء الشعراء العباسيين الذين ألحوا على البديع وأكثروا منه فى أشعارهم : إبن هرمة" وبشار بن برد" والنمري "والعتابى "وأبو نواس" " وأبو العتاهية" وغيرهم من شعراء العصر العباسى الأول، إلا أنهم لم يخترعوا البديع كما زعم البعض، فقد زعم الجاحظ أن بشارا هو رأس أصحاب البديع وأن منصور النمرى ومسلم بن الوليد وأشباههما كانوا يحتذون حذو بشار فى البديع" (١).

وذهب آخر إلى أن إبن هرمة "وبشارا" أول من فتق البديع (٢)وذهب آخر إلى أن " مسلم بن الوليد" أول من طلب البديع وأكثر منه وتبعه الشعراء فيه (٣) وقال آخر : إن مسلما أول من لطف البديع ، وكسا المعانى حلل اللفظ الرفيع وعليه يعول القطامى وعلى أبى نواس" (٤). وقال ابن قتيبة " إنه أول من ألطف البديع فى المعانى ورقق فى القول وعليه يعول الطائى فى ذلك "(٥) ويقول أبو الفرج الأصبهانى" وهو - أى مسلم - فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف وتبعه فيه جماعة وأشهرهم فيه "أبو تمام الطائى"

---

(١) ص ٥١ جـ١ البيان والتبيين . للجاحظ . ط عبد السلام هارون مصر ١٩٤٨.

(٢) ص ١٣١ جـ١ العمدة لابن رشيق القيروانى.

(٣) ص ٣٧٢ معجم الشعراء للمرزبانى . ط مصر عام ١٣٥٤ هـ

(٤) ص ١٣٢ جـ ٤ زهر الآداب للحصرى .

(٥) ص ٨٠٨ جـ٢ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

فانه جعل شعره كله مذهبا واحدا فيه" [١] ويرى" عبد الله بن المعتز" أنه:- أى مسلم - أول من وسع البديع لأن بشار بن برد أول من جاء به ثم جاء مسلم فحشا شعره به ثم جاء "أبو تمام" فأفرط فيه وتجاوز المقدار" [٢] ويرى الآمدى: أن مسلما لم يخترع البديع ولا هو أول فيه ولكنه رأى هذه الأنواع منشورة متفرقة فى أشعار المتقدمين فقصدها وأكثر فى شعره منها وهى فى كتاب الله عز وجل موجودة ... فتتبعها مسلم بن الوليد واعتدها ووشح شعره بها ووضعها فى موضعها ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن حتى قيل أنه أول من أفسد الشعر وروى ذلك "أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح" قال وحدثنى محمد بن القاسم بن مهروة قال سمعت أبى يقول أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ثم تبعه أبو تمام " [٣].

والذى نود أن نقوله: إن" بشارا" أو "مسلما" أو غيرهما لم يخترع البديع وإنما كان البديع موجودا منذ الجاهلية إلا أنه شاع فى شعر العصر العباسى الأول ولم يتخذه مذهبا فنيا ومدرسة فنية إلا " مسلم بن الوليد" فهو الذى آكد نفسه وأرهق عقله وأعمل فكره فى البديع حتى جعله مذهبا فنيا يدور حوله أنى إتجه وراح ينفخ فيه من روحه ويلح عليه إلحاحا" حتى ظهرت فى شعره (الصورة الأدبية) واضحة السمات بينة القسمات " وبهرته صنعته وأخذته روعته وراح يتعمده ويوغل فيه حتى أصبح عنده هدفا وغاية تقصد لذاتها بعد أن كان وسيلة إلى الجمـــــال

---

(١) ص ٣٨ جـ١ الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى.

(٢) ص ١٠٩ طبقات الشعراء لابن المعتز.

(٣) ص ٦ .٧ الموازنة بين أبى تمام والبحترى.

الفنى"(١)ثم اتبعه من جاء بعده من الشعراء خاصة أبى تمام الذى أسرف فى البديع إسرافا فاحشا فعاد بالرداءة على بعض شعره وبالجودة على البعض الاخر.

فلم يكن بشار "أو" ابن هرمة" أو "النمرى" أو "أبو نواس" أو غيرهم من الشعراء صاحب مذهب فنى فى البديع أو صاحب مدرسه البديع التى تأسست على عمد وأركان أو رئيسا لمدرسة البديع لأن كلا منهم لم يتخذ البديع مذهبا فنيا أو مدرسة فنية وإنما الذى اتخذه مذهبا فنيا ومدرسة فنية هو " مسلم بن الوليد" الذى أنشأ المذهب وأسس المدرسة على ألوان البديع القديمة من الجاهلية.

و" مسلم بن الوليد " لم يفسد الشعر ببديعه كما زعم الزاعمون ولم يرتكب جناية بمذهبه كما ادعى المدعون ولم يسرف ولم يتكلف فيه كما لهج بذلك اللاهجون وإنما عاد بديعه على الشعر بالروعة والجمال وأنه أحسن إليه وماأساء ورفع شأنه وما أضمحل به شعر العرب.

فإذا ذهبنا نتفحص أشعاره لم نجد فيها لفظة نابية ولا لونا بديعيا سخيفا ولا خيالا مسرفا وإنما نجد الدرة تلو الدرة فى أسلوب أدبى يمتع القلب ويشبع العاطفة ويثير الإعجاب وإن مسلما ببديعه قد زاد موسيقى شعره المنبعثة من الوزن والقافية حسنا فى الوقع بفضل الموسيقى التى انبعثت من البديع حيث كانت للشاعر مقدرة عجيبة فى الملاءمة بين معانيه وألفاظه وجعل بينهما علاقة موسيقية رائعة بفضل البديع والعناية باختيار الألفاظ الموسيقية الناصعة المصقولة.

---

(١) ص ٢٥٣ معالم الشعر وأعلامه . د/ محمد نبيه حجاب.

" فمسلم بن الوليد " هو صاحب مدرسة البديع الأولى فى الشعر العربي وأنه هو الذى أسسها وبناها علي ألوان الصناعة القديمة التى عرفت من قبل من ألوان البديع وأن هذه المدرسة قد اكتملت فى الجودة والاتقان على يديه ثم جاء بعده أبو تمام فزاد من زخارفها وبالغ فى زخرفتها ثم جاء " ابن المعتز " فجعل من البديع علما له أسسه وقواعده وفنونه.

وقد ساعد " مسلم بن الوليد" فى مذهبه الفنى طبيعة شاعريته ونفسيته وثقافته المتنوعة فضلا عما طرأ على عصره من تقدم ورقى وتنميق وزخرفة فى شتى مناحى الحياة العباسيةوفضلا عن أنه قد سخر نفسه لإتقان شعره وتجويده على مهل وروية وصنعة. فالشاعر صاحب روية وفكرة لايشتده ولايرتجل "[1] بل يتمهل فى صنعته ويجيدها حتى يتقنها.

وقد اهتم " مسلم بن الوليد" بألوان البديع وأعمل فيها عقله وثقافته وأتعب نفسه فيها إلي حد بعيد وراح يصطنع البديع ويوغل فيه على غير المعهود من قبله وأخذ ينفخ فيه ويلح عليه إلحاحا وراح يقصده قصدا فى أشعاره حتى أطلق عليه : بديع مسلم ".

وعمد " مسلم " إلى ألوان البديع وأغرم بها إغراما واضحا إلا أنه لم يسرف فيها إسراف "أبى تمام" بل إنه حافظ على استقامتها كما حافظ على استقامة أسلوبه وكان معتدلا فيها عن "أبى تمام" فمنع بذلك شعره من الإبتذال والسقوط أو التفاوت والإختلاف" وجاء شعره واضحا مستويا فى مجموعه كصفحة الغدير الرقراق التى تشف عما تحتها وأما

(١) ص ١٩١ جـ١ العمدة لابن رشيق .

شعر أبى تمام فغامض متفاوت كالبحر الهائج فيه موج كالجبال منه ماهو فى القمة لايساميه أحد ولايدانيه ومنه ماهو إلى القاع أقرب تارة يقذف باللؤلؤ والمرجان وطورا يقذف بالحصى والطحالب غير أنه لؤلؤ منيع فى قواقعه مغلف بالأصداف لايصل إليه إلا كل غواص لآل". (١).

وقد اهتم مسلم " فى شعره بألوان البديع المختلفة من تشخيص وتدبيج وهو مايسمى بالبديع التصويرى وبديع لفظى : كالجناس وحسن التقسيم و رد العجز على الصدر وبديع معنوى: كالطباق والمقابلة والمشاكلة والمزاوجة ومراعاة النظير والتورية والمبالغة وغير ذلك من ألوان البديع المعروفة.

ومن شعر " مسلم " الذى تظهر فيه صنعته بوضوح قوله يمدح " يزيد بن مزيد الشيبانى " : (٢).

سد الثغور " يزيد " بعد ما انفرجت ... بقائم السيف لا بالختل والحيل

كم قد أذاق حمام الموت من بطل ... حامى الحقيقة لايؤتى من الوهل

أغر أبيض يغشى البيض أبيض لا ... يرضى لمولاه يوم الروع بالفشل

يغشى الوغى وشهاب الموت فى يده ... يرمى الفوارس والأبطال بالشعل

يفتر عند افترار الحرب مبتسما ... إذا تغير وجه الفارس البطل

موف على مهج فى يوم ذى رهج ... كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق ما يعيا الرجال به ... كالموت مستعجلا يأتى على مهل

لايلقح الحرب إلا ريث ينتجها ... من هالك وأسير غير مختتل

---

(١) ص ٢٥٤ معالم الشعر وأعلامه .

(٢) ص ٨-١٠ ديوان مسلم بن الوليد .

فنراه فى تصويره لبطولة ممدوحه " يزيد بن مزيد " يجمع بين ألوان البديع : التصويرى والمعنوى واللفظي ويمزج بين الصنعة المعنوية واللفظية والصورة الشعرية فى براعة معدومة النظير حتى أخرج لنا صورة رائعة إستطاع أن يوفر لها كل مقوماتها وعناصرها الأساسية من تشخيص وتدبيج ومزاوجة وطباق ومقابلة وجناس وتقسيم وتقطيع وترصيع فضلا عن الألفاظ الفخمة والأسلوب القوى المستوى والجمل المختارة فبدت الأبيات لوحة فنية مكتملة العناصر والألوان والأصباغ وبدت وكأنها صورة متحركة فيها الحياة والحس والحركة، وهذا لايتاح عمله إلا لشاعر فنان موهوب ملك كل عناصر الشاعرية ومقوماتها ويتمتع بموهبة تصويرية مبدعة" كمسلم بن الوليد" .

ونحن نخالف الدكتور " هدارة" حينما زعم أن مسلما. قد شوه جمال الصورة فى أبياته بإفراطه في الصنعة اللفظية [1]. ونقول إنه جملها وحسنها وزانها وزادها جمالا على جمال فليس فى أبياته لفظة نابية ولا كلمة مقحمة ولا خيال بلغ حد السرف بل إن الشاعر استخدم الألفاظ والأصباغ بعد أن تذوقها وأدرك سر بلاغتها فوشح بها شعره ووضع كل لفظة ولون فى موضعه ومكانه الذى طلبه المعنى واستدعاه .

وهناك الكثير والكثير من مثل هذه الألوان البديعية المختلفة التى أكثر منها " مسلم "وزان بها شعره وظهرت فيه كأنها اللآلئ المضيئة والدرر الثمينة التى لايقدر على صيدها إلا غواص " ماهر كمسلم بن الوليد " [2].

---

(١) ص ٥٩٠ إتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى . دار المعارف ١٩٦٣م.

(٢) أنظر ديوانه على سبيل المثال : ص ١٥ و ص ٦١ ومابعدها و ص ٨٤ ومابعدها وص ٩٧ ومابعدها. وص ١٤٦و ص ١٥١ومابعدها وص ٢٠٩ ومابعدها.

وقد تميزت مدرسة " مسلم بن الوليد" بخصائص فنية واضحة وأصول فنية بارزة تلخصت فى الآتى:

أولا: الإهتمام الكبير بألوان البديع المختلفة: المعنوية واللفظية والتصويرية والإكثارمنها فى شعره ولكن كان ذلك دون طغيان أو زيادة على حد المعانى .

ثانيا: الإهتمام بالصورة الحسية والتدقيق فى عناصرها وإستقصائها والإلحاح عليها إلحاحا كبيرا، وذلك يتفق مع نفسية الشاعر الذى أغرم بالجمال الحسى وراح يتطلبه فى كل مكان .

ثالثا: البعد عن التعقيد والغموض والالتواء وفلسفة المعنى كما فعل أبو تمام.

رابعا: جعل الصنعة البديعية عنصرا مهما من عناصر عمله الشعرى ومناسبتها للبناء الشعرى الذى انتهجه مسلم حيث آثر الألفاظ الفخمة المستوية والأسلوب القوى المحكم.

بناء القصيدة:

إتخذت قصيدة المدح عند " مسلم " أشكالا مختلفة وصورا متعددة فى بنائها وشكلها، فأحيانا نراه يبدأ مدحته بمقدمة طللية مترسما فيها نهج القدماء من الشعراء، وراح فيها يبكى الأطلال والآثار معبرا عن حزنه وألمه لفراق محبوبته ثم راح يتحدث عن الصحراء ومشاهدها ويصف النوق والرحلة ومتاعبها كما وصف الجاهليون تماما وذلك مثل قصيدته فى مدح " منصور بن يزيد " التى بدأها بقوله:[1].

هاجت وساوسه برومة دور   دثر عفون كأنهن سطور

(١) ص ٢٢٠ ديوان الشاعر.

ثم يخلص من مقدمته إلي مدح الممدوح، وذلك تقليد لما كان عليه الشعراء السابقون " فوصف الأطلال ليس أكثر من قالب فنى تقليدى استغله " مسلم" وأمثاله من الشعراء العباسيين استغلالا جيدا ، وأضفوا عليه من رقتهم ورهافة حسهم مما جعله ملائما لعصرهم وأذواقهم فإذا هو يتسع عواطفهم وتجاربهم وإذا هم لايخرجون على التقاليد الفنية المرعية التى ارتضاها جمهور الممدوحين ومن كان يحيط بهم من العلماء الذين كانوا يدعون إلى التمسك بتلك لتقاليد" (١) وأجدر بمسلم أن يتمسك بالتقاليد الموروثة لأنه كان من الشعراء المحافظين فى عصره ومن أكثرهم تمسكا بالقالب الشعرى الموروث.

كذلك نراه ينهج نهج القدماء فى التمهيد للمدحه بمقدمة غزلية راح فيها يتغزل بالمحبوبة ويبرز مفاتنها ومظاهر الجمال منها ولكن كان ذلك فى عفة من القول إن صح هذا التعبير، وذلك مثل قصيدته التى مدح فيها" زيد بن مسلم الحنفى" والتى استهلها بقوله (٢).

أأعلن مابى أم أسر فأكتـــم	وكيف وفى وجهى من الحب معلم
آثيبوا بود أو أثيبوا بهجـــرة	ولا تقتلونى إن قتلى محـــرم
طفوت على بحر الهوى فدعوتكم	دعاء غريق ماله متعـــوم
ركبت على اسم الله بحر هواكـم	فيارب سلم أنت أنت المسلـــم
تعلقتكم من قبل أن أعرف الهوى	فلا تقتلونى إننى متعلـــم

ويمضى فى مقدمته يتحدث عن حبه ويتغزل فى محبوبته فى نحو أربعة وعشرين بيتا خلص منها إلى مدح ممدوحه فى حسن تخلص بقوله:

(١) ص ١٥٧ مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الأول د/حسين عطوان طبع: دار المعارف بمصر .

(٢) ص ١٧٧ ومابعدها . ديوان مسلم بن الوليد.

فمن لامنى فى اللهو أولام فى الندى   أبا حسن" زيد" الندى فهو ألوم

ومثل قصيدته التى مدح فيها" محمد بن منصور " بقوله : (١)

نبا به الوســـــاد   وامتنع الرقـــــاد
وصاده غـــــزال   يرمى فما يصـــــاد

ويمضى فى مقدمته يتغزل بمحبوبته فى نحو أربعة عشر بيتا ثم انتقل منها إلى وصف الخمر فى نحو ستة أبيات ثم انتقل إلى مدح ممدوحه، وقد اختار الشاعر لقصيدته الوزن الخفيف القصير - وهو مجزوء الرجز- مخالفا بذلك قاعدته التى جعلها لمدائحه حيث كان ينظمها على أوزان ضخمة طويلة كالطويل والبسيط والكامل.

ويستهل قصيدة المدح أحيانا بالحديث عن" خيال المحبوبة وطيفها" وهى مقدمة تقليدية عرفها الشعراء السابقون وانتهجها فى مدحه مسلم، وقد استهل بمقدمة " وصف الطيف " ثلاث مدائح، الأولى : فى مدح" يزيد بن مزيد الشيبانى" وقد استهلها بقوله:(٢).

طيف الخيال حمدنا منك إلمامـــا   داويت سقما وقد هيجت أسقاما
لله واش رعى زورا ألم بنـــــا   لو كان يمنعنا فى النوم أحلامـا
بتنا هجودا وبات الليل حارسنـــا   حتى إذا الفلق استعلى له نـاما
قد قلت والصبح عندى مغتبـــط   ما كان أطيب هذا الليل لو داما
ولائم فى هوى"أروى " وصلت له   حبل الخليع بحبل اللهو إذ لاما
عندى سرائر حب مايزال لهـــــا   تذكار عهد ومايقرفن آثامـــــا

---

(١) ص ٢٤٠ ديوان مسلم.

(٢) ص ٦١-٦٢ ديوان مسلم بن الوليد.

وهى مقدمة قصيرة لاتتجاز ستة أبيات فقط ثم خلص منها إلى مدح ممدوحه .

والمدحة الثانية التى بدأها بمقدمة " الطيف" قصيدته التي مدح فيها " هارون الرشيد " والتى استهلهابقوله :(١).

خيال من النائى الهوى المتعد	سرى فسرى عنه عزيم التجلد
دعا وطرا حتى إذا ما أجابــه	أطاف بطروف الجفون مسهــد
فبات يناجى النجم حتى كأنما	يخالس عينيه الكرى ليل أرمد

ثم راح يتغزل فى المحبوبة ثم انتقل إلى وصف ناقته والصحراء ومشاهدها وذلك فى مقدمة تبلغ نحو ثلاثين بيتـامن مجموع أبيات القصيدة التى تبلغ أربعين بيتا ، حيث نلاحظ طغيان المقدمة على الغرض الأصلى للقصيدة.

والمدحة الثالثة التى استهلها " بمقدمة " الطيف" مدحته فى :" زيد ابن مسلم الحنفى " والتى بدأها بقوله: (٢)

طرق الخيال فهاج لى بلبــالا	أهدى إلى صبابة وخبـــالا
أنى إهتدى حتى أتانى زائرا	متنكرا يتعسف الأهـــوالا
بأبى وأمى من طلبت نــواله	إذ زارنى فأبى علـــى دلالا
لو أنه خلط الدلال بنائـــل	فأنا لنا كان الدلال حـــلالا
بارزته وسلاحه خلخالـــه	حتى فضضت بكفى الخلخالا
هذا الخيال فكيف لى بمنعـم	رود الشباب تخاله تمثـــالا

---

(١) ص ٦٩ وما بعدها ديوان الشاعر.

(٢) ص ٢٠٠ ومابعدها ديوان الشاعر.

صمتت خلاخله وغص سواره   والقلب واضطرب الوشاح وجالا

ثم أخذ يتغزل فى محبوبته، ثم انتقل إلى وصف الخمر ومجلسها وساقيها وصفا دقيقا مفصلا وذلك فى مقدمة طويلة تبلغ نحو ثمانية وأربعين بيتا من جملة أبيات القصيدة التى تبلغ ثلاثة وثمانين بيتا مما يلاحظ معه طغيان المقدمة على الغرض الأصلى للقصيدة .

كذلك قدم " مسلم " لبعض مدائحه بوصف " الظعن والرحلة " وجعل ذلك تمهيدا لقصيدته ويتجلى ذلك فى قصيدتين، الأولى مامدح فيها " يزيد مزيد الشيبانى " وبدأها بقوله:[1].

أجررت حبل خليع فى الصبا غـزل   وشمرت هم العذال فى العذل

هاج البكاء على العين الطموح هوى   مفرق بين توديع ومحتمـل

والثانية مدح فيها " بنى جبريل " وبدأها بقوله : [2]

هلا بكيت ظعائنا وحمـــــولا   ترك الفؤاد فراقهم مخبـولا

أما الخليط فزائلون لفرقـــــة   فمتى تراهم راجعين تقـولا

---

(١) ص ١ ديوان مسلم بن الوليد .

(٢) ص ٥٣ ديوان مسلم بن الوليد.

كما استهل الشاعر بعض مدائحه بمقدمة: " الشيب والشباب " وهى مقدمة تقليدية قديمة عرفت من قبل " مسلم " وقد استهل " مسلم " أربع قصائد من قصائده بهذه المقدمة ، الأولى : قصيدته المجهولة الممدوح والتى بدأها بقوله: (١)

طلائع شيب سير أسرعها رسل ... يردن شبابى أن يقال له كهل
نجوم هى الليل الذى زال تحتها ... تفارط شتى ثم يجمعها أفل
فإن تبقنى الأيام تجنبنى العصا ... وإن تفننى فكل حى لها أكل

ثم أخذ يذم الأيام ثم انتقل إلى الغزل بمحبوبته غزلا عفيفا عذريا ثم تخلص من مقدمته إلى مدح ممدوحه.

والمدحة الثانية التى استهلها بمقدمة الشيب والشباب " مدحته التى مدح فيها :" يعقوب بن سعدان" وقد بدأها بقوله: (٢)

هجر الصباوأناب وهو طروب ... ولقد يكون وما يكاد ينيب
درجت غضارته لأول نكبة ... ومشى على ريق الشباب مشيب (٣)
قذفت به الأيام بين قوارع ... تأتى بهن حوادث وخطوب
لله أنت إذ الصبابك مولع ... وإذ الهوى لك جالب مجلوب
حلت حباك صبابة مكتومة ... نطقت بها من مقلتيك غروب
هلا عجلت على الدموع بعزمة ... بلم لم يكن لك فى العزاء نصيب
عطفته بعد جماحه فى سلوة ... ذكر يعطفها هوى مغلوب
أغضى الزمان له على عين الرضى ... وعليه منه حارس ورقيب
حتى إذا إتسقت له أو طاره ... طفقت تطرقها إليه نكوب
خذ من شبابك للصبا أيامه ... هل تستطيع اللهوحين تشيب؟

(١) ص ٨٨ وما بعدها : ديوان مسلم
(٢) ص ١١٢ وما بعدها : ديوان مسلم.
(٣) ريق الشباب : حسنه . درجت : ذهبت.

ثم تخلص من مقدمته إلى مدح ممدوحه.

والمدحة الثالثة التى استهلها بمقدمة " الشباب والشيب " مدحته فى " هارون الرشيد " والتى استهلها بقوله: [١]

عاود عزاءك لايعنف بك الذكر ... ما الذى بعد شيب الرأس تنتظر [٢]

هذا الشباب له فى شرة أنف ... دون الثلاثين مجلوب به الشرر

يرميه بالحزم معقول فتنزعه ... إلى التصابى القريبات الهوى النفر

أهلة فوق أغصان على كثب ... كأنها صور تمشى بها البقر

تبكى لبيضاء لاحت فى مفارقة ... بيضاء ماينقضى منها له وطر [٣]

يروعها الشيب تارات ويعجبها ... بقية منه لم يعنف بها الكبر

هو الشباب فما بال الصباحبست ... أيامه وقد اشتدت لها المرر [٤]

كلا الجديدين قد أطعمت حبرته ... باد وماض ومغفور ومغتفر

ثم ينتقل إلى مدح ممدوحه الخليفة.

والمدحة الرابعة التى استهلها بمقدمة " الشباب والشيب " مدحته المجهولة الممدوح والتى استهلها بقوله: [٥]

سلاه لم استبقى وصال الكواعب ... وقد دب ريع الشيب بين الذوائب

بدت شيبة فى رأسه فكأنما ... بدت لحلول الشيب إحدى المصائب

وما ريع حتى لاح للشيب عارض ... عليه وشامته أكف الخواضب

فقد استهل الشاعر أربع مدائح من مدائحه بمدمة " الشباب " لامدحتين فقط " كما قال الدكتور: حسين عطوان [٦] ".

---

(١) ص ٢٥٣ ديوان مسلم

(٢) يعنف : يسرف

(٣) وطر : حاجة

(٤) المرر : المرة : القوة والشدة والإحكام

(٥) ص ٢٨١ ديوان مسلم بن الوليد.

(٦) ينظر : ص ١٧١ مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الأول

وإذا كان " مسلم بن الوليد " قد استهل بعض مدائحه بمقدمات تقليدية قديمة : كالمقدمة " الطللية " و " المقدمة الغزلية " و " مقدمة الظعائن " و" مقدمة الطيف " و " مقدمة الشباب والشيب " فإنه أيضا استهل بعض مدائحه بمقدمات جديدة لم تكن معروفة عند القدماء.

ومن ذلك قصيدته التى استهلها بالثورة على المقدمة الطللية وراح يدعو فيها إلى ترك البكاء على الأطلال شأنه شأن أبى نواس فى دعوته إلا أنه لم يغال فيها ولم " ينهج نهج "أبى نواس" فى الثورة العارمة عليها ولم يحدث ضجيجا ولا صخبا كأبى نواس ولكنه كان متعقلا هادئا فى دعوته، ويتجلى ذلك فى مقدمة مدحته " للأمين " التى بدأها بقوله:

شغلى عن الدار أبكيها وأرثيها   إذا خلت من حبيب لى مغانيها
دع الروامس تسفى كلما درجت   ترابها ودع الأمطار تبليها
إن كان فيها الذى أهوى أقمت بها   وإن عداها فمالى لا أعديها
أحق منزلة بالترك منزلة   تعطلت من هوى نفسى نواديها

ثم راح يصف الخمر ويتغزل فى سافيها بعد ذلك وكأنه يعبر عن رأيه فى الاستعاضة بالخمر عن المقدمة الطللية ولكنه لم يصرح بذلك ويجاهر به علنا كما صرح وجاهر أبو نواس.

كذلك نرى "مسلما" يستهل بعض مدائحه بمقدمة تحدث فيها عن مشاعره وعواطفه وحياته الشخصية " بما يمكن أن نطلق عليه مقدمة: " التعبير عن النفس " وذلك كقصيدته فى مدح " سهل بن الصباح "[١]. وقصيدته فى مدح ممدوح مجهول[٢] وقصيدته فى مدح " هارون الرشيد"[٣] وقصيدته فى مدح داود بن يزيد المهلبى[٤].

---

(١) ص ٢٤ ديوان مسلم
(٢) ص ٨٠ ديوان مسلم
(٣) ص ١٢١ ديوان مسلم
(٤) ص ١٥١ ديوان مسلم

ومن مقدماته الجديدة التى استهل بها بعض مدائحه " المقدمة الخمرية " حيث بدأ الشاعر قصيدته بالحديث عن الخمر ووصفها ووصف مجالسها وما كان يحدث فيها من سكر ولهو وغناء ، ويتجلى ذلك فى مدحة مجهولة الممدوح والتى استهلها بقوله: (١)

أديرى على الراح ساقـية الخمـر ولاتسأليني واسألى الكأس عن أمرى

كأنك بى قد أظهرت مضمر الحشا لك الكأس حتى أطلعتك على سرى

ثم انتقل من وصف الخمر إلى الغزل ومنه إلى وصف البحر والسفينة وذلك فى مقدمة استغرقت ثمانية وعشرين بيتا ومدح الممدوح ببيت واحد فى نهايتها.

ومن قصائده التى استهلها بوصف الخمر أيضا : قصيدته فى مدح: " هاشم بن عم يزيد بن مزيد الشيبانى " والتى بدأها بقوله: (٢)

لم أصح من لذة لا لا ولاطرب وكيف يصحو قرين اللهو واللعب

حيث راح الشاعر يصف مجلسا من مجالس الخمر وما يدور فيه من لهو وقصف وعبث وألم فى مقدمته بوصف الخمر إلماما عظيما حيث عدد أوصافها ووصف أدواتها وساقيها مفصلا ذلك تفصيلا واضحا وذلك فى نحو ستة عشر بيتا ثم خلص من ذلك إلى مدح ممدوحه.

ومن المدائح التى قدم لها بالخمر قصيدته فى مدح " هارون الرشيد " وأخته " العباسة " وقد بدأها بقوله: (٣).

---

(١) ص ١٠٣ ديوان مسلم.

(٢) ص ٢٠٩ ديوان مسلم.

(٣) ص ٢٧٩ ديوان مسلم.

هات اسقنى طال بى الحبس   من قهوة بائعها وكس
زقية الدار رصا فيه   أغلى بها الشماس والقس
كأنها فى الكأس ياقوتة   وهى إذا ما مزجت ورس

ثم راح يتغزل بغادة فى بيتين ثم انتقل إلى المدح بعد ذلك.

فنرى أن مسلما قد جمع فى مقدمات مدائحه بين المقدمة القديمة والمقدمة الجديدة، " وقد تمسك مسلم بالأطر الخارجية للمقدمات الموروثة من وصف الأطلال ووصف الطعن إلى المقدمة الغزلية ومقدمة وصف الطيف ومقدمة الشيب والشباب وهو تمسك لم يسلمه إلى التقليد والجمود فقد عدل فى أشكالها بحذف أغلب العناصر البدوية منها وأشاع فيها الطباق والجناس والتصوير كما جدد فى مضامينها الموضوعية إذ صب فيها وجداناته وتجاربه الصادقة التى تمثل عهود حبه على مسارح شبابه، ومسارح اللهو والغناء ولم يزل يتغنى بذكرياته مزاوجا بينها وبين وصف الخمر حتى أصل هذا الجزء فى معظمها وحتى طوعها للتعبير عن واقع حياته "[١].

كما أنه نهض بالمقدمة الخمرية نهوضا واضحا فى مدائحه فلم يكتف بوصف الخمر أثناء المقدمة أو فى طياتها بل إننا رأيناه يقصر مقدمته على وصف الخمر فقط دون أن يشركها مع موضوع آخر أو يشرك معها موضوع آخر غيرها.

وإذا كانت سمة التقديم والتمهيد للمدحة بمقدمة سواء كانت قديمة موروثة أو جديدة مبتكرة - قد كانت السمة البارزة فى مدائح " مسلم"

---

(١) ص ١٧٢ - ١٧٣ مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباس الأول . د/ حسين عطوان.

فإننا نراه أيضا قد يأتى بقصيدة المدح دون تقديم أو تمهيد لها بمقدمة ويقصر القصيدة فقط من أولها حتى أخرها على المدح.

وذلك مثل قصيدته فى مدح خزيمة بن خازم " التى بدأها بقوله: (١)

بلاءك إنى غير مستعتب الرضى　　　ولا مستقل القوت من معذر مبل
أعافك إن لم يصف عندك مشربى　　　وأرعاك إن أمرعت فى جانب سهل

ومثل قصيدته فى مدح " مسلمة "(٢) ولكن كان ذلك قليلا فى مدحه، وتبعا لذلك خلت مدائحه من الوحدة الموضوعية حيث عدد موضوعاتها إلا أنها وجدت فيها الوحدة الفنية حيث لاءم بين الأسلوب وموضوع القصيدة - المدح - من حيث القوة كما جاءت الأساليب متلائمة مع شعور الشاعر ومعانيه.

وإذا كان " مسلم " قد بنى بعض مدائحه على شكل القصيدة سواء كانت طويلة أو متوسطة أو قصيرة فإنه قد بنى بعض شعره فى المدح على شكل مقطوعة صغيرة ربما وصلت إلى خمسة أبيات أو أربعة أو ثلاثة أو اثنين فقط(٣).

كما ظهرت فى مدائحه : براعة الاستهلال (٤) وحسن التخلص(٥) وحسن الختام(٦).

---

(١) ص ٢٤٥ ديوان مسلم بن الوليد.
(٢) ص ٢٦٩ ديوان مسلم بن الوليد.
(٣) أنظر ديوانه: ص ٦٧ و ص ١٤٦ و ص ١٥٠ وص ٢٥٧ وص ٢٧٥ ص ٢٨٣ وص ٢٩٢.
(٤) ديوانه : ص ١٤٦ وص ١٥١ وص ٢٤٥ وص ٢٦٠ على سبيل المثال.
(٥) ديوانه : ص ٩ وص ١٨٠ وص ٢١٧ وعلى سبيل المثال
(٦) ديوانه : ص ٢٣ وص ٩٦ وص ٢١٩ على سبيل المثال.

اللغة والأسلوب:

عرفنا من قبل أن "مسلما" قد ثقف اللغة العربية ومتنها ومعجمها وصرفها ونحوها وبيانها ثقافة واعية وأنه حفظ كثيرا من أشعار القدماء في العصور السابقة عليه خاصة شعراء القرة، وقدعاد ذلك على لغته وأسلوبه بالأثر المحمود ، فقد جاءت لغة الشاعر في مدحه لغة قوية جزلة فخمة تتميز بالجزالة والرصانة فضلا عن حلاوتها وعذوبتها حيث يألفها السمع وتستهويها الأذان فلا نفور فيها أو تعقعة أو تنابذ بين ألفاظها بل جاءت متآلفة متآخية موافقة لمعانيه واستطاع بقدرته اللغوية الطائلة أن يرتفع باصطفاء الألفاظ والعبارات والملاءمة بينها في الجرس بل بين حروفها وحركاتها ملاءمة دقيقة رفعته إلى مكانة عالية بين شعراء عصره الذى عاش فيه.

وقد حافظ "مسلم" على سلامة اللغة ورونقها وديباجتها وابتعد فيهاعن الألفاظ الوعرة والمبتذلة كما ابتعد عن الوقوع في الأخطاء النحوية أواللغوية التي وقع فيها بعض شعراء عصره فجاء شعره مشرق الديباجة قوى الرصف متين البناء محكم الأسلوب مستقيمه.

وإن أهم ما يميز أسلوب " مسلم بن الوليد " هو : القوة والاستقامة وقد أشاد بذلك كثير من النقاد والباحثين القدامى في كتبهم.

فهذا "ابن الأثير" يصفه بأنه " فارس الشعر وصاحب الأسلوب الغريب العجيب "[١] ويقول المبرد : " إنه شاعر حسن النمط"[٢]،ويصف الأمدى شعره بأنه : سليم حسن السبك صحيح المعنى يرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الأسلوب " [٣] ويصف المرزباني ألفاظه

---

(١) ص ٢٥٠ جـ ١ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق : د/ أحمد الحوفي ود / بدوى طبانة طبع مكتبة نهضة مصر عا ١٩٦٢م.

(٢) الأغاني : جـ ١٧ ص ٣٨

(٣) ص ٢ الموازنة بين أبي تمام والبحتري.

بالحلاوة[١] وقال بعضهم بتفضيل أبى نواس " على " مسلم " لأن مسلما جار على وتيرة واحدة لايتغير عنها[٢] وقال آخر واصفا شعره: أنه صحيح قليل الفضول "[٣] وتزخر كتب الأدب ومصادره بمثل هذه الأقوال التى تشيد ببلغة " مسلم " وأسلوبه.

فأسلوب مسلم قوى متين محكم البناء متين النسج فخم اللفظ فصيح اللغة مستقيم مستو. فلا نفور أو ابتذال فى لفظ أو جملة ولاتفاوت أو قعقعة فى أسلوب، بل جاءت ألفاظه ولغته وأسلوبه فى مدائحه على نمط واحد ووتيرة واحدة تحدوها القوة والاستقامة والإحكام والاستواء.

وإن " مسلما " ليتفوق فى ذلك على كل شعراء عصره الذين جاء أسلوبهم متفاوتا غير مستقيم حيث نجد للشاعر منهم أشعارا فى قمة الجودة وحسن السبك حينا بينما نجد للشاعر نفسه أشعارا أخرى انحط بها إلى الدرك الأسفل من الرداءة والتخلف والابتذال ويتضح ذلك فى شعر كبار شعراء العصر العباسى الأولى مثل : "بشار" وأبى نواس" "وأبى العتاهية" وغيرهم من الشعراء ولكننا نجد مسلما يرتفع بمدائحه - بل بشعره كله - عن هذا التخلف والابتذال " ومن لايسقط ولايسفسف أفضل ممن يسقط ويسفسف"[٤].

ومدائح " مسلم بن الوليد " تتسم كلها بالقوة والجزالة والفخامة فى الألفاظ والإحكام فى السبك وجودة الحبك ومتانة الرصف وتماسك البناء

---

(١) ص ٣٧٢ معجم الشعراء

(٢) ص ١٧ الصناعتين لأبى هلال العسكرى.

(٣) ص ٢٣ رسالة الانتقاد ، لابن شرف القيروانى . ط مصر ١٩٢٦.

(٤) ص ١٢ جـ ١ الموازنة بين أبى تمام والبحترى.

والفصاحة والبلاغة ويتجلى ذلك بوضوح فى كل أشعاره فى المدح وذلك مثل قوله يمدح "يزيد بن مزيد الشيبانى": (١)

سل الخليفة سيفا من بنى مطر   أقام قائمه من كان ذا ميل
كم صائل فى ذرا تمهيد مملكة   لولا " يزيد " بنى شيبان لم يصل
ناب الإمام الذى يفتر عنه إذا   ما افترت الحرب عن أنيابها العصل
سد الثغور " يزيد " بعدما انفرجت   بقائم السيف لا بالختل والحيل
كم قد أذاق حمام الموت من بطل   حامى الحقيقة لايؤتى من الوهل

وقوله يمدح : "جعفر البرمكى": (٢).

تداعتْ خطوب الدهر عن جار " جعفر"   وأمسك أنفاس الرغائب سائله (٣)
هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه   وتدرك أطراف البلاد سواحله (٤)
تصدعت الأمال عنك بألسن   محملة شكر الذى أنت فاعله (٥)

وقوله يمدح " زيد بن مسلم الحنفى" (٦).

أثار حروب المال بالبذل والندى   فنيرانها فى كل يوم تضرم
جبان عن الإمساك غير تخلق   وفى البذل والإعطاء ليث مصمم
ومثّر من المعروف والبأس والندى   عديم من السوءات والبخل مصرم

فهذه الأبيات - ومدائحه كلها- تشيع بالقوة والفخامة وحسن البناء وتلاحم الأجزاء واستقامة الأسلوب وتأخى الألفاظ مع بعضها كما تدل على أن ناظمها شاعر فنان موهوب قد أعطى مقدرة فائقة وموهبة فذة لتركيب هذا الأسلوب والبناء المتكامل فى كل عنصر من عناصره التى كونه منها.

---

(١) ص ٧، ٨ ديوان الشاعر.
(٢) ص ١٤٦ ديوا الشاعر
(٣) الرغائب : نفائس الأموال
(٤) السيب : العطاء
(٥) تصدعت : تفرقت .
(٦) ص ١٨١ ديوان مسلم.

وألفاظ " مسلم " وتراكيبه: ألفاظ مختارة منتقاة قد قصد إليها الشاعر قصدا حيث آثر الألفاظ القوية الفخمة ذات الموسيقى العالية التى تفيض بالقوة وتزخر بالوقع والرنين القوى والتى تفيض بشحنة عاطفية ونفسية مماثلة، ونجد الألفاظ والعبارات التى تعطى موسيقى قوية تنبع من طيات حروفها واتساق كلماتها والتى تتلاءم مع شعر المدح.

أما قصيدته التى مدح فيها " محمد بن منصور " والتى استهلها بقوله : (١)

نبا بـه الـــوســـاد　　وامتـــنع الرقـــاد

وراح يمدحه فيها بقوله:

محمد بن منصـــو　　ر الفتى الجـــواد

مـابـــعـده جـــواد　　لجـــوده يـرتـــاد

جزل الندى تـداوى　　بحلمـــه الأحـقـاد

فإن مايظهر فيها من رقة ولين ليس سببه فى اللفظ والأسلوب بل إن الوزن الخفيف اللين " وهو مجزوء الرجز " كان وراء هذه الرقة والسبب فيها ، فألفاظ الشاعر قوية جزلة وأسلوبه محكم قوى فيها أيضا لايختلف عن ألفاظه فى بقية مدائحه ومايبدو فيها من رقة يعود إلى الوزن وليس اللفظ والأسلوب.

ومن أظهر ما يتميز به أسلوبه أيضا - خلاف مامضى - ظاهرة الاستطراد حيث نراه يستطرد فى مدح ممدوحه ويتعدى إلى مدح أهله وآبائه، وقد مرت الأمثلة الشعرية التى توضح ذلك.

---

(١)　ص ٢٤٠ وما بعدها : ديوان مسلم.

كذلك يتسم أسلوبه بفقدان الترتيب المنطقى فى الأفكار فبينما نراه يمدح ممدوحه بالكرم وينتقل إلى مدحه بالشجاعة يعود مرة أخرى إلى الحديث عن كرم الممدوح وجوده وهكذا ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التى تعرضنا لها عند الحديث فى مدحه.

وإن أهم الظواهر الأسلوبية التى ظهرت فى أسلوبه شيوع ألوان البديع على اختلافها فى شعره شيوعا ظاهرا ، حيث بالغ " مسلم " فى شعره نحو الزخرف والزينة مبالغة بعيدة واتكأ على البديع وألوانه اتكاء كبيرا فى إبراز صورة ومعانيه وتجميل ألفاظه وأسلوبه به، إلا أنها كانت رائعة حقا بعيدة عن الإفساد والفساد وعلت بمدحه – بل بشعره كله – وزادته جمالا وحسنا ورونقا وبهاء ، ولقد أعمل الشاعر فكره فيه وأوغل على غير المألوف ونفخ فيه من روحه وأنه ألح عليها حتى ظهرت فى شعره واضحة السمات ظاهرة القسمات، إلا أنه لم يسرف فيها إسراف أبى تمام ولم يتكلف بديعا أو يتصيده ولم نرله لفظة خارجة أو خيالا شاطحا أو غلوا بلغ فيه حد الأغراق والاستحالة ، وإذا كان بعض المتحاملين عليه قد اتهموه بأنه أفسد الشعر وجنى عليه ببديعه[1] فهم مخطئون مجانبون للحقيقة وأنهم قد اتهموه بتهمة هومنها بريئ فإننا لم نقف له على سقطة أو مفسدة أفسد بها معنى أو صورة بسبب البديع ، والإكثار منه – خاصتفى مدائحه – التى خلت تماما من ذلك ، بل إننا نراه قد جملها وزينها ورفع من قدرها بالبديع وصوره، بل لقد زاد البديع مدائحه وشعره كله جمالا على جمال بفضل الموسيقى التى واكبته من البديع وألوانه .

ومن أبرز ألوان البديع التى برزت فى شعر" مسلم" ومدائحه: الطباق والجناس حيث كانا أبرز لونين وأكثر ألوان البـديع شيـوعـا فـى

---

(١) ص ٧ الموازنة بين الطائيين.. وص ٣٦٠ معاهد التنصيص.

مدحه وشعره كله ، فمن الطباق فى مدائحه قوله فى مدح "يزيد الشيبانى"(١)

يناال بالرفق مايعيا الرجـال بـه ... كالموت مستعجلا يأتى على مهل

طابق بين : مستعجلا ومهل فهما متضادان.

وقوله فيه: (٢).

يأبى لسانك منع الجود سائله ... فما يلجلج بين الجود والبخل

وقوله فى مدح سهل : (٣)

وعند أبى يحيى غنى لايمنـه ... وعود متى ما يدبر المال يقبل

يقول فيعلو قوله وهو منصف ... ويمنع محمودا وإن يعط يجزل

وقوله فى يزيد" (٤)

قطعت فى الله أرحام القريب كما ... وصلت فى الله أرحاما وأرحاما

وقوله فى " الرشيد ": (٥).

إذا اختلفت أهوا ءقوم جمعتهم ... على العفو أو حد الحسام المهند

وقوله فى يعقوب بن سعدان: (٦).

متفاوت فى الرأى مختلط به ... فى أمره الترغيب والترهيب

يمضى الأمور بعزم رأى واحد ... معلى به التبعيد والتقريب

---

(١) ص ٩ ديوانه.
(٢) ص ٢٣ وما بعدها ديوانه .
(٣) ص ٢٨ - ٣١ ديوانه
(٤) ص ٦٧ ديوانه
(٥) ص ٧٧ ديوانه
(٦) ص ١١٦ ديوانه

والأمثلة على ذلك كثيرة وتزخربها مدائحه وجاءت كلها فى موقعها الذى استدعاها دون تكلف أو تصيد فزادت معانيه جمالا فوق جمال .
ومن الجناس قوله فى مدح " يزيد ": [١].

وبلدة لمطـايا الركـب مـنـضـية	أنضيـتها بوجيف الأينق الذلل
موف على مهج فى يوم ذى رهج	كأنه أجل يســعى إلى أمــل

وقوله فى مدح يعقوب بن سعدان: [٢]

يا أيها الرجل المثمر مــالــه	وهو المسلب عرضه المسلوب
خل المكارم قد كفاك مرساهـا	سعدانها " وسليله " يعقوب
شكس على الأراء معتدل الهوى	شرس بما غلب الرجال غلوب

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة فى مدائحه من هذا اللون البديعى الذى زان به شعره وجمله وحسنه.

كما ورد فى مدائحه ألوان أخرى كثيرة مثل : مراعاة النظير[٣] والتورية [٤] والأقتباس [٥] وأسلوب التعدد[٦] والمبالغة[٧] والتلميح[٨] وغير ذلك من ألوان البديع التى يزخربها ديوانه ومدائحه.

---

(١) ص ٥ ديوانه
(٢) ص ١١٤ - ١١٨ ديوانه
(٣) أنظر ديوانه : ص ٦٤ وص ١١٤
(٤) أنظر ديوانه : ص ٦٧ وص ٢٦٣
(٥) أنظر ديوانه : ص ١٦٩ وص ٢٥٤ وص ٢٨٠
(٦) أنظر ديوانه: ص ٦٧ وص ٨١٣
(٧) أنظر ديوانه ص ٧ وص ٢٢٠وص ٢١٨ وص ٢١٧ وص ٢٦٣.
(٨) أنظر ديوانه : ص ٦٦ وص ٢٣٥.

المعانى والأفكار:

قدمنا من قبل أن الشاعر قد درس الشعر العربى القديم وثقفه ثقافة واعية وحفظ كثيرا من أشعار العرب فى الجاهلية والاسلام وعصر الأمويين وأشعار الشعراء العباسيين الذين سبقوه، كما درس ثقافة عصره وأتقنها واطلع على الجديد منها وخبرها خاصة : علوم الفلسفة والمنطق وماشاكلها، وبهذا فقد ألم الشاعر بالقديم والجديد فى ثقافته وبالتالى أثر ذلك على شعره كله بوجه عام وشعره فى المدح بوجه خاص.

وقد حاول مسلم فى مدائحه أن يجمع فيها بين معانى الأقدمين وبين الجديد المبتكر الذى جد فى عصره وجادت به قريحته وعمل جاهدا أن يوفق بينهما فجاءت معانيه مزيجا من العنصرين : القديم والجديد " حيث مزج كلام البدويين بكلام الحضرين فضمنه المعانى اللطيفة وكساه الألفاظ الظريفة فله جزالة البدويين ورقة الحضريين " كما قال اسحاق الموصلى"(١) ففى مدائحه نراه يصف الممدوح بالكرم والشجاعة ورجاحة العقل وطيب الأصل والمنبت وأضفى عليه صفات : التقوى والعدل والعفو عند المقدرة والشدة فى موضعها واللين فى موضعه وغير ذلك مما هو معروف فى شعر المدح منذ القدم حيث تأثر به الشاعر فى مدائحه وانتهجه فى معانيه وتشيع هذه المعانى فى مدائحه وتزخر بها.

ومسلم فى تأثره بمعانى الأقدمين لم يأخذها عنهم ولم ينقلها فى شعره كما كانت فى شعرهم دون نقص أو زيادة أو تحوير أو تعديل لكنه ألبسها ثيابه هو وضمنها ثقافة عصره الذى عاش فيه فبدت وكأنها جديدة.

---

(١) ص ١٢ الأمالى : لابن دريد ط مصر عام ١٩٨٠م.

هذا وقد سبق" مسلم "إلى كثير من المعانى المبتكرة التى تعد من أستبقياته ويرجع إليه الفضل فى افتضاض بكارتها وأخذها عنه كثيرون ممن جاءوا بعده من الشعراء.

ومن هذا القبيل قوله فى مدح داود بن يزيد المهلبى: (١)

تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وقد قيل إن هذا البيت أمدح بيت قالته العرب وزاد فيه على كل الشعرا" (٢)

ومن هذا القبيل قوله فى " زيد بن مزيد الشيبانى" (٣).

لايستطيع " يزيد " من طبيعته عن المروءة والمعروف احجاما

وقد تأثر به أبو تمام وأخذ معناه فى قوله: (٤).

تعود بسط الكف حتى لوانه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

ومن معانيه الرائعة المبتكرة قوله فى مدح"الفضل بن سهل: (٥).

أقمت خلافة وأزلت أخرى جليل ماأقمت وما أزلتا

ومن معانيه الرائعة قوله فى " يزيد بن مزيد " (٦).

موف على مهج فى ديوم ذى رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

ينال بالرفق مايعيا الرجال به كالموت مستعجلا يأتى على مهل

---

(١) ص ١٦٤ ديوانه

(٢) ص ٩٦ جـ ١٣ تاريخ بغداد للخطيب القزوينى.

(٣) ص ٦٥ ديوانه

(٤) ص ٨٠ الموازنة بين أبى تمام والبحترى.

(٥) ص ٣٠٧ ديوانه مسلم

(٦) ص ٩ ديوانه مسلم

ومنها قوله في مدح " يزيد ":(١)

قضى المنايا كما قضى أسنته   كأن في سرجه بدرا وضرغاما

وقد أخذه أبو تمام فقال:

فتى من يديه البأس يضحك والندى

وفي سرجه بدر وليث غضنفر

ومن هذا القبيل قوله:(٢)

تراه في الأمن في درع مضاعفة   لا يأمن الدهر أن يؤتى على عجل

وقوله :(٣)

لايرحل الناس إلا نحو حجرته   كالبيت يضحى إليه ملتقى السبل

وقوله :(٤).

يغدو فتغدو المنايا في أسنته   شوارعا تتحدى الناس بالأجـــل

وقوله :(٥).

قد عود الطير عادات وثقن بها   فهن يتبعنه فـــي كـــل مرتحـــل

وقوله:(٦)

وإن خلت بحديث النفس فكرته   حـي الرجاء ومات الخوف من وجل

---

(١) ص ٦٥ ديوانه.
(٢) ص ١٢ ديوانه.
(٣) ص ١٠ ديوانه.
(٤) ص ١١ ديوانه.
(٥) ص ١٢ ديوانه.
(٦) ص ١٤ ديوانه

وقوله: (١)

كأن المنايا عالمات بأمــــره إذا خطرت أرماحه ومناصله

وقد أخذ المعنى : المتنبى فقال:

تغدو المنايا فلا تنفك واقفة حتى يقول لها عردى نتندفع

وقال مسلم فى مدح " يزيد ": (٢).

ما من عظيم قد انقاد الملوك له إلا يرى لك إجلالا وإعظاما

يصيب منك مع الآمال صاحبها حلما وعلما ومعروفا وإسلاما

أخذه أبو تمام فقال :

نرى بأشــباحنا إلى مـــلك نأخذ من مالــه ومــن أدبــه

وقال مسلم فى مدحه:

يكسو السيوف نفوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

أخذه أبو تمام وأساء الأخذ وتعسف اللفظ فقال : (٣)

أبدلت رؤسهم يوم الكريهة من قنا الظهور قنا الخطى مدعــما

ومن أجود معانيه أيضا قوله فى مدح" الفضل البرمكى" (٤).

فتى ترعى الآمال مزنة جــوده إذا كان مرعاها الأمانى والبــطل

تساقط يمناه ندى وشمالــــه ردى وعيون القول منطقه الفضل

ألح على الأيام يفرى خطوبهـا على منهج ألفى أباه بــه قبـــل

(١) ص ٣٣٥ ديوانه

(٢) ص ٦٧ ديوانه.

(٣) ص ٣٣ الموازنة بين الطائيين

(٤) ص ٢٦٣ ديوانه

ومن معانيه الجديدة الرائعة قوله يمدح إسماعيل البرمكى"[1]:

وإنى وإسماعيل يــوم وداعــه	لكا لغمد يوم الروع فارقه النصل
وإنى فى مالى وأهلى كـأنـنى	لنأيك لا مـال لـدى ولا أهــل
يذكر نيك الدين والفضل والحجا	وقيل الخنا والحلم والعلم والجهل
وأحمد من أخلاقك البخل إنــه	بعرضك لا بالمال حاشا لك البـخل

هذا والأمثلة كثيرة فى مدائح "مسلم "من هذه المعانى الجديدة الرائعة التى جاء بها من مخيلته وأبدع فيها وسبق غيره من الشعراء بها.

كذلك يعد من جديد " مسلم " فى مدائحه تمجيد البطولة وتصوير الصمود والتصدى للأعداء وتسجيل المعارك والحروب والانتصارات التى حققها القادة الممدوحون مسميا المعارك بأسمائها والقواد بأسمائهم مفصلا القول فى المعركة وأحداثها حتى انها لتؤلف قصة شعرية حربية تستوفى عناصر القصة المعروفة.

وهكذا جمع "مسلم " فى معانيه بين القديم الموروث وبين الجديد المبتكر الذى استمده من عصره وواقع حياته وما جاء به خياله وجادت به قريحته إلا أن المعانى القديمة الموروثة تسيطر على شعر " مسلم بن الوليد " " وإن بدلها أو حورها حتى بدت وكأنها جديدة . فالشاعر من الشعراء المحافظين التقليديين الذين حافظوا على نهج القصيدة العربية ومضمونها وإن كان له كثير من التجديدات فى الشكل والمضمون خاصة فى بناء القصيدة وما تحتويه من معان وصور.

فقد استمد "مسلم "معانيه من القديم الموروث ومن واقع عصره وأحداثه وحالته الإجتماعية والسياسية، كما استمد معانيه أيضا من التاريخ العربى والإسلامى والثقافة الإسلامية بوجه عام.

وقد جاءت معانى الشاعر وأفكاره واضحة جلية بعيدة عن الغموض والخفاء والتعقيد والالتباس ، وقد احتفل الشاعر احتفالا كبيرا بمعانيه واجتهد فى توليدها واستقصائها وضخمها بكل مايملك من مقدرة، وقد أشاع فيها المبالغة شيوعا واضحا إلا أنه بعدبها عن الإحالة والإفساد فمبالغاته مقبولة بعيدة عن السخف والغلو الممقوت.

الخيال والتصوير:

يلعب الخيال دورا بارزا فى مدائح " مسلم بن الوليد " حيث اهتم به اهتماما واضحا واعتمد عليه اعتمادا كبيرا فى إبراز صوره وتصوير مشاهده مما أتاح له أن يشيع الحركة والحياة فيها ويحرك الساكن والجامد فى مشاهدها وقد ساعده فى ذلك إحساسه العميق ومشاعره المرهفه وثقافته الواسعة لعلوم اللغة العربية وبلاغتها.

وطار " مسلم بن الوليد " - شأنه شأن معظم شعراء عصره - فى عالم الخيال وحلق فى أجوائه حتى أصبحت سمة الأغراب فى الخيال من أهم سمات شعره ، وقد ظهر هذا واضحا جليا فى تشبيهاته المصيبة واستعاراته البديعة وتمثيلاته الدقيقة وكناياته الرائقة.

وقد أغرب مسلم فى تصويره وأوغل فى وصفه إلى حد بعيد معتمدا على خياله الخصب وثقافته المتعددة وما شاهده فى عصره من تقدم وتحضر وغلو فى جميع مناحى الحياة التى يحياها المجتمع العباسى.

وقد اتكأ "مسلم" فى خيالاته وتصويره على صور الخيال وألوانه المعروفة فى الأدب العربى منذ القدم من تشبيه واستعارة وكناية ، وقد جمع شعره بين القديم والجديد من الصور إلا أن الصور القديمة تشغل الجانب الأكبر من صوره وخيالاته.

تراه يشبه بالليث وبالأسد فى الشجاعة ويشبه بالبحر وبالسحاب وبالمطر فى الجود ويشبه بالموت وبالمنية وبالدهر فى شدة الفتك .. إلى غير ذلك مما هو معروف فى الأدب العربى. ومع ذلك فقد وجدنا له كثيرا من الخيالات التى أبدع فيها وجادت بها قريحته ، ومن ذلك قوله: (١)

وإنى وإسماعيل يوم وداعه لكا لغمد يوم الروع زايله النصل
فإن أغش قوما بعدهم أو أزورهم فكالوحش يستدنيه للقنص المحل

ومن خيالاته الرائعة قوله: (٢)

تظلم المال والأعداء من يده لا زال للمال والأعداء ظلاما

ومن هذا القبيل قوله: (٣)

تأتى البدور فتقنيها صنائعه وما يدنس فيها كف منتقد

ومنها قوله فى" جعفرالبرمكى ": (٤)

هو البحر يغشى سرة الأرض سيبه وتدرك أطراف البلاد سواحله

وقوله فى " داود المهلبى " : (٥)

كالليث بل مثله الليث الهصوراذا غنى الحديد غناء غير تغريد

ومن هذا القبيل قوله يشبه بالليث فى العطاء والجود : (٦).

جبان عن الإمساك غير تخلق وفى البذل والإعطاء ليث مصمم

---

(١) ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ديوان مسلم.

(٢) ص ٨٦ ديوان مسلم

(٣) ص ٨٦ ديوان مسلم.

(٤) ص ١٤٦ ديوانه .

(٥) ص ١٥٩ ديوانه .

(٦) ص١٨١ ديوانه.

ومعروف أن الليث يشبه به فى الشجاعة لكن الشاعر هنا شبه به فى الجود وهو مما سبق فيه غيره وشاع ذلك عنه.

ومن خيالاته الرائعة قوله فى : الأمين " (١)

أحيت يداه الندى والجود فانتشرا فى الأرض طرا وجالا فى نواحيها
فتى تهين رقاب المال راحتــــه إذا أتاها مريد المال يبغيهــــــا

وديوانه يفيض بالتشبيهات المصيبة والاستعارات العجيبة والكنايات البديعة التى اعتمد عليها فى تصوير صوره وخيالاته .

كذلك اعتمد " مسلم " فى تصويره على وصف المشاهد وصفا مجردا من الخيال وألوانه وإنما اعتمد على تصوير الواقع ورسمه تصويرا وصفيا ويتجلى ذلك بوضوح فى وصف المعارك والحروب التى كان ممدوحوه أبطالها.

---

(١) ص ٢١٧ ديوانه

الأوزان والقوافى :

تعد الأوزان والقوافى من أهم عناصر الشعر العربى وأسسه التى أقيم عليها منذ أن وجد ، فمنذ أن وجد الشعر العربى صاحبته الأوزان والقوافى والعرب يشترطون فى شعرهم الوزن والقافية وإلا فهو ليس من قبيل الشعر عندهم "(١).

والوزن العروض يجعل للقصيدة نغما موسيقيا رائعا يعمل على تثبيت المعنى وجمال النغمة الموسيقية التى تبعد الإختلال والتفاوت عن الأسماع حين سماعها.

" والقافية هى قرار المعنى وهى الصوت الطبيعي الذى ينزل من الشعر منزلة الإشارة التى تصحب كلام المتكلم(٢)".

إذن : الوزن والقافية من أبرز عناصر العمل الشعرى ومن أهم خصائص الشعر العربى فلا شعر إذن دون وزن وقافية.

وقد كان " مسلم بن الوليد" من الشعراء المحافظين الذين حافظوا على الوزن العروضى والقافية الواحدة للقصيدة، وقد التزم الوزن والقافية الواحدة ولم يخرج على الأوزان التى عرفها الخليل بن أحمد الفراهيدى.

وقد نظم " مسلم " مدائحه على البحور القوية الرصينة الطويلة التى نظم عليها الأقدمون، فقد نظمها على أبحر: الطويل والبسيط والكامل ، وكانت الأبحر الثلاثة هذه هى التى أدار عليها مدائحه واستعملها فى أوزانه تبعا للترتيب المذكور، حيث كان بحر الطويل أكثر البحور وزنا لمدائحه يعقبه بحر: البسيط ثم الكامل.

---

(١) جـ ٣ ص ٢٣ التمدن الإسلامى لجورج زيدان.

(٢) جـ ص٣ تاريخ آداب العرب للرافعى . الطبعة الثانية.

ثم نراه بعد ذلك ينظم بعض مقطوعاته على وزن: السريع والوافر والخفيف والمنسرح . وينظم مدحه واحدة على وزن " مجزوء الرجز " [١]، مخالفا بذلك منهجه الذى اتبعه فى إيثار البحور الطويلة وجعلها أوزانا لمدائحه ويعد ذلك شذوذا عن القاعدة العامة التى سلكها فى مدائحه.

وقد أدار "مسلم " مدائحه على البحور الطويلة كما أدارها الأقدمون لأنه أراد أن يكون شعره قويا متينا محكم البناء فأضاف إلى أسلوبه المتين وألفاظه الفخمة الجزلة الوزن الشعرى الرصين الطويل الذى يزيد أسلوبه قوة على قوة خاصة وأنه قد نصب أمام عينيه شعر الأقدمين وراح يتأسى بهم ويقتدى بطريقتهم وأسلوبهم بل إنه أشرب نهج الشعراء القدماء خاصة الفحول منهم منذ نشأته.

ويبدو أن المدحة التى نظمها على "مجزوء الرجز" كانت فى أول حياته فى" بغداد" حينما نزل بها ووجد موجة الغناء منتشرة هناك ومعظم شعراء العصر يواكبون هذه الموجة بنظم أشعارهم على الأوزان الخفيفة أو المجزوءة حتى يغنيها المغنون وبذلك يشتهرون وتسير أشعارهم فأراد " مسلم " أن يجاريهم ثم عدل عنه بعد ذلك لأنه ربما وجد هذه الأوزان الخفيفة لا تلائم طبعه ونفسيته من جهة ومن جهة أخرى فإنه قد وجه همه إلى المدح والوصول إلى باب الخليفة والوزير والأمير وشعر المدح يلائمه الأوزان القوية الطويلة التى تحقق لمدائحه القوة والهيبة والوقار.

وإذانظرنا فى مدائح الشاعر فإننا لم نجد له مدحه أو مقطوعة فى المدح على أوزان : الهزج أو المقتضب أو المجتث أو المضـــــارع أو

---

(١) ص ٢٤١ ديوانه.

المتدارك . وهى الأوزان التى شاعت فى عصره ونظم عليها المحدثون مثل: بشار وأبى العتاهية وأبى نواس ومن سار علي شاكلتهم .

وإن مايحسب من تجديد فى الموسيقى عند " مسلم " هو تجديد داخل فى إطار الوزن الشعرى القديم حيث نراه ذا قدرة فائقة فى تحقيق النغمة الموسيقية والإيقاع الموسيقى العذب بالتشطير حينا والتجزئ والتصريع والترصيع والتقفية حينا والتطريز والتفويف حينا آخر.

أما من جهة القافية فقد إهتم بها " مسلم " هى الأخرى إهتماما كبيرا واختار " رويها " من الأحرف القوية التى تتلاءم مع شعر المدح ومع الوزن العروضى للمدحة ومع الأسلوب القوى والألفاظ الجزلة التى اختارها لمدائحه.

وقد نظم الشاعر مدائحه على حروف: الباء والدال والراء والسين والكاف واللام والميم والنون والهاء وكانت اللام والدال أكثر حروفه فى قافيته وغلبتا عليها، كما تحاشى الشاعر النظم على حروف : الخاء والذال والصاد والضاض والظاء والغين والشين لنفور الطباع منها فى القافية، وقد جاءت معظم قوافيه مطلقة وليست مقيدة .وقد أسبقها بحرف " مد " قبلها فضلا عن أنه قد تجنب العيوب التى تقبح القافية كالإقواء وغيره.

" الفصل الخامس "

" منزلته ومكانته "

منزلته ومكانته:

لقد درسنا شعر " مسلم بن الوليد " وعرضنا له عرضا موجزا عدا مدحه الذى أفضنا القول فيه وعرفنا أن الشاعر قد نحا فيه نحو الفحول من شعراء العربية الأوائل حيث آثر فيه القوة والمتانة والجزالة والدقة والرقة والروعة حتى يكاد يخيل إلينا ونحن نقرأه بأنه شعر جاهلى أو أموى يمتزج بحضارة عصره العباسى الأول وبداوة العصرين السابقين، وإذا دققنا النظر فى شعره عرفنا أننا أمام شاعر فنان أصيل ذى قدرة فائقة على نظم الشعر دون تكلف أو عناء أو مشقة ويصوغ أفكاره ومعانيه ومايدور بخلده فى براعة فنية ومقدرة فائقة متمكنة من اللغة أيما تمكن .

كذلك وجدناه يسير على نهج واحد ووتيرة واحدة ويمثل التيار المحافظ فى عصره أتم تمثيل وأكمله بل إننا لا نغالى إذا قلنا إن " مسلما " يعد شاعر القوة الأول فى العصر العباسى الأول دون منازع أو مشارك وأنه الشاعر الأوحد الذى سار على أسلوب مستو مستقيم غير مخلخل أو متفاوت واستطاع أن ينظم شعره بلغة قوية صافية بخلاف أقرانه من الشعراء العباسيين الذين جاء شعرهم متفاوتا فى أسلوبه وألفاظه من حيث القوة والسهولة وهو لذلك يعد أستاذا لطريقة أسلوبية محكمة النباء قوية التماسك مستوية الأسلوب محاولا التوفيق والملاءمة بين حالته وحال عصره وصياغته الفنية وما تضمنه شعره من أفكار ودلالات.

، ويعد " مسلم " الشاعر الفذ الذى جمع بين القديم والجديد ولاءم بينهما فى نهج واضح وبقول صادق وواقعية واضحة مبتعدا عن الغلو والإغراق والإسفاف وانتهج النهج المعتدل فى كل ماجادت به قريحته وفى شكل يرضى الأذواق والعقول.

وإذا كان شعراء العصر العباسى الأول قد انقسموا إلى زهاد وماجنين فإن " مسلما " كان يمثل الوسيط بين التيارين المتضادين سواء

كان ذلك فى شعره أو فى حياته التى عاشها ، ويعد بمفرده حامل لواء البديع والصنعة البديعية الفنية المتقنة فى عصره الذى عاش فيه وصاحب مدرسة فنية واضحة المعالم تأثر بها الشعراء الذين جاء وامن بعده خاصة أبى تمام " أمير الشعراء فى وقته.

لذا فإنه يعد - ويحق - من فحول الشعراء فى عصره بل من فحول شعراء العربية على الإطلاق وهو واحد من هؤلاء الشعراء البارزين العظماء الذين استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم على التاريخ الأدبى حتى ذاعت شهرته وطار فى الآفاق ، وهو شاعر من الطراز الأول والطبقة الممتازة التى عرفها العصر العباسى الأول.

وقد أجمع النقاد على أنه فحل من فحول الشعرالعباسى وأحد الشعراء الفحول الثلاثة المشهورين من الطبقة الثانية من شعراء العصر العباسى الأول : " أبو نواس " و " مسلم " و " أبى العتاهية " إلا أنهم تفاوتوا فيما بينهم واختلفوا على أفضلهم ، وقد أثنى عليه وعلى شعره كثير من النقاد والأدباء والمبتصرين بأمور الشعر والأدب من النقاد والخلفاء والعلماء والشعراء وأشادوا به إشادة بالغة.

يقول " ابن رشيق القيروانى " : " ومن طبقة أبى نواس : العباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد .. غير أنا لانجد المبتدئى فى طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعامنه بمطالعة شعر" حبيب، وشعر" مسلم بـــن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها .. على أن مسلما أسهل شعرا من حبيب وأقل تكلفا ... وسمعت جماعة من العلماء يقولون : كان مسلم ابن الوليد نظير أبى نواس وفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء إلا أن أبانواس قهره بالبديهة والإرتجال مع تقبض كان فى مسلم وإظهار توقر وتصنع وكان صاحب روية وفكرة لايبتده ولايرتجل وكان أبو العتاهية أقدر الناس على الإرتجال لقرب مأخذه وسهولة طريقته"[1].

---

(١) جـ ١ ص ٨٣ وص ١٠٩ وص ١٦٦ العمدة فى محاسن الشعر وأدبه

ويعده " الجاحظ " أحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الخطب [(١)] ، ويرى " ابن قتيبة ": أنه " أول من ألطف فى المعانى وكساها حلل اللفظ الرفيع وأنه كان مداحا محسنا" [(٢)] ويقول " عبد الله بن المعتز" إنه : كان مداحا محسنا مجيدا مفلقا وهو أول من وسع البديع" [(٣)] ، ويقول " ابن دريد " سألت أبا حاتم عن أبى نواس فقال : إن جد أحسن ... قلت: فمسلم قال : خليج صاف ينزع من بحر كالزند تورى تارة وتصلد أخرى" [(٤)] ويقول" إسحاق الموصلى " موازنا بين " منصور النمرى " و "مسلم بن الوليد " " أما النمرى فإن شعره حسن المبنى قريب المعنى ... وأما "مسلم" فإنه مزج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعانى اللطيفة وكساه الألفاظ الظريفة، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين [(٥)] " ويفضل " أحمد بن سيار الجرجانى " مسلما " على " أبى نواس " ويزرى بشعر الأخير ويقول إنه لايستحق قائله درهمين بعدما أجزل العطاء لمسلم وغيره [(٦)].

ويعجب " أبو تمام " بشعر " مسلم بن الوليد " وشعر " أبى نواس " ويحفظهما ويرى أن شعريهما آلذ شئ عنده ويتضح ذلك فى قول " محمد بن قدامة " قال :" دخلت على حبيب بن أوس بقزوين وحواليه مـــــــن

---

(١) ص ٣١ جـ ١ البيان والتبيين ، تحقيق الدكتور: عبد السلام هارون مصر عام ١٩٤٨م

(٢) جـ ٢ ص ٧٠٨ وص ٨٠٨ الشعر والشعراء

(٣) ص ١٠٩ طبقات الشعراء . طبعة لندن عام ١٩٣٩م.

(٤) ص ٣٥٦ الأمالى طبعة آصاف مصر ١٨٩٨م.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ص ١٩٢ الوزراء والكتاب، للجهشيارى تحقيق الأساتذة : السقا والإبيارى وشلبى طبع بمصر عام ١٩٣٨م.

الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى فوقفت ساعة لايعلم بمكانى لما هو فيه ثم رفع رأسه فنظر إلى وسلم على فقلت له يا أبا تمام إنك لتنظر فى الكتب كثيرا وتدمن الدرس وما أصبرك عليها ، فقال والله مالى إلف غيرها ولا لذة سواها وإنى لخليق أن أتفقدها وإذا بحزمتين : واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله وهو منهمك ينظر فيهما ويميزهما من دون سائر الكتب فقلت فما هذا الذى أرى من معاينتك به أو كد من غيره ، قال : أما التى عن يمينى فاللات وأما التى عن يسارى فالعزى أعبد هما منذ عشرين سنة فإذا عن يمينه " شعر مسلم بن الوليد " وعن يساره " شعر أبى نواس " [١] ، وروى عن أحمد بن طاهر قال :" دخلت على أبى تمام وهو يعمل شعرا وبين يديه شعر أبى نواس ومسلم فقلت : مه هذا ؟ قال: اللات والعزى وأنا أعبدهما منذ ثلاثين سنة" [٢].

نرى أبا تمام وهو الشاعر العملاق - يشيد بشعر " مسلم " ويسوى بينه وبين شعر أبى نواس ، بل إنه يصرح بذلك حيث يقول :" أشعر الناس وأسهبهم كلاما بعد الطبقة الأولى : بشار والسيد الحميدى وأبو نواس ومسلم بن الوليد بعدهم" [٣] أما " البحترى " فإنه يفضل " أبا نواس " على " مسلم " حينما سئل عن أيهما أشعر فقال : أبو نواس أشعر فقال " عبد الله إبن طاهر إن أبا العباس ثعلبا ليس يطابقك على قولك ويفضل مسلما . فقال البحترى ليس ذا من عمل ثعلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله إنما يعلم ذلك من قد وقع فى مسالك طرق الشعر إلى مضايقه وانتهى إلى ضروراته" [٤]، وأبو نـواس يفـضـل

---

(١) ص ٣٥٥ سبقات الشعراء لابن المقز

(٢) ص ١٧٣ أخبار أبى تمام للصولى . طبعة مصر عام ١٩٣٧م.

(٣) جـ ١٣ ص ٩٦ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى

(٤) ص ١٣ الأمالى لابن دريد

مسلما إلا أنه يجعله بعده فى المنزلة . و" مسلم " يفضل " أبا نواس " أيضا ، ويتجلى ذلك فيما رواه " د عبل بن على " قال : " كان أبو نواس يسألنى أن أجمع بينه وبين مسلم بن الوليد وكان مسلم يسألنى أن أجمع بينه وبين أبى نواس وكان أبو نواس إذا حضر تخلف مسلم وإذا حضر مسلم تخلف أبو نواس إلى أن اجتمعا فأنشده أبو نواس:

أجارة بيتينا أبـوك غـيور ... وميسور مايرجى لديك عسير

وأنشده مسلم:

لله من هاشم فى أرضه جبل ... وأنت وابنك وكنا ذلـك الجـبل

فقلت لأبى نواس : كيف رأيت مسلما فقال : هو أشعر الناس بعدى ، وسألت مسلما وقلت : كيف رأيت أبا نواس فقال : هو أشعر الناس وأنابعده"[1].

ويرى " أبو الفرج الأصبهانى ": أن مسلما شاعر متقدم وكان متفننا متصرفا فى شعره"[2] ويقول أبو العباس محمد بن يزيد ":"كان مسلم شاعر احسن النمط جيد القول فى الشراب وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى"[3].

وقد أشاد به وبشعره الخليفة" هارون الرشيد " وبلغ من حبه لشعره أنه كان يحفظه ويرويه ويقدر "مسلما" ويمنحه العطايا والهبات الكثيرة ويتضح ذلك فيما يـرويه صـاحب كتـاب " العقـد الفريـد" قـال " كـان

(١) ص ٥١ جـ ١٧ الأغانى ط دار الكتب المصرية.

(٢) ص ٣٨ جـ ١٧ الأغانى ط دار الكتب المصرية.

(٣) ص ٣٨ جـ ١: نفس المصدر.

هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم وكان "مسلم بن الوليد"صريع الغوانى قد رمى عنده بالتشيع فأمر بطلبه فهرب منه ثم أمربطلب أنس ابن أبى شيخ كاتب البرامكة ، فهرب منه ثم وجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد فلما أتى بهما قيل له يا أمير المؤمنين قد أتى بالرجلين .... فقال : الحمد لله الذى أظفرنى بهما فلما دخلا عليه نظر إلى "مسلم "وقد تغير لونه فرق له وقال : إيه يامسلم أنت القائل.

أنسى الهوى بنى على فى الحشا   وأراه يطمع عن بنى العباس

قال بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين:

أنسى الهوى ببنى العمومة فى الحشا   مستوحشا من سائر الإيناس

وإذا تكاملت الفضائل كنتم   أولى بذلك يابنى العباس

فأعجب هارون " من سرعة بديهته وقال بعض جلسائه : إستبقه يا أمير المؤمنين فإنه من أشعر الناس فأجلسه" هارون "وراء ظهره حتى إذا فرغ من قتل أنس قال له : أنشدنى أشعر شعرلك فكلما فرغ من قصيدة قال له : التى تقول فيها الوحل فإنى رويتها وأنا صغير فأنشده شعره الذى أوله:

أديرا على الراح لا تشربا قبلى   ولاتطلبا من عند قاتلى ذحلى

حتى انتهى إلى قوله :

إذا ماعلت منا ذؤابة هاشم   تمشت به مشى المقيد فى الوحل

فضحك هارون وقال : ويحك يامسلم أما رضيت أن قيدته حتى جعلته يمشى فى الوحل ثم أمر له بجائزة وخلى سبيله" (١)

---

(١) ص ١٨٠ - ١٨٢ جـ ٢ العقد الفريد لابن عبد ربه . تحقيق أحمد أمين وزملاؤه طبع عام ١٩٤٠م بمصر.

وهناك كثيرمن الأخبار والروايات التى توضح تقدير الخليفة" هارون الرشيد " " لمسلم بن الوليد " ولشعره وحفظه له وإعداق العطايا والمنح عليه وإصدار الأمر إلى الأمراء والقواد بإعطاء المنح والهبات لمسلم بن الوليد [١] " ، كما أشاد بمسلم وبشعره الخليفة " المأمون " ويرى أنه أفضل الشعراء المولدين لقوله أرثى بيت وأمدح بيت وأهجى بيت وأغزل بيت ، " حيث اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد، قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال:

يجود بالنفس إذ ضن الجواد بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا جلا بقبح الوجه والأخلاق فقال:

قبحت مناظرة فحين خبرته   حسنت مناظره لقبح المخبر

وتغازل فقال:

هوى يجد وحبيب يلعب   أنت لقى بينهما معذب

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره" [٢].

وحدث " أبو القاسم " الفقيه الموصلى قال : جاريت " ابن فراس " الكاتب بحضرة " القاسم بن عبيد الله " فى شئ من أشعار المحدثين فاعتقد تفضيل " أبى نواس " واعتقدت تفضيل " مسلم بن الوليد " وطال

---

(١) ينظر الأغانى جـ ١٧ ص ٤١ - ٤٢ - ٤٣

(٢) ص ٤٠ جـ ١٧ الأغانى. وص ٣٦٠ معاهد التنصي للعباسي.

الخطاب فى ذلك حتى دخل " أبو العباس محمد بن يزيد المبرد " فتحاكمنا إليه فقال : قال لى عبد الصمد بن المعدل - وما رأيت أغرب معرفة منه بالشعر وقد سألت عنهما - والله ماجرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ولاتسمو نفسه إلى أن يفاضل بينهما إلا أن له حظامن الشهرة والذكر ليس لمسلم له "(١).

ويفضله على أبى نواس كذلك " الفضل بن يحى البرمكى " الوزير العباسى المعروف وكان له بصر بنقد الشعر حيث يجل مسلما ويعظمه ويكرمه ويخلع عليه ويرى أنه يفضل الطبقة المتقدمة ، ويتضح ذلك فيما يرويه صاحب " كتاب " معاهد التنصيص حيث يقول :" حدثت " رابعة البرمكية " قالت كنت يوما وأنا وصيفة على رأس مولاى "الفضل بن يحى بن خالد البرمكى " وبيدى مذبة أذب بها عنه إذا ستؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى فأذن له فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، قالت ثم خلع عليه وأجازه وانصرف حتى استئوذن لأبى نواس فامتنع من الإذن له حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ففعل على تكره منه فلما دخل سلم عليه فما علمت أنه رد عليه ولا أمره بالجلوس ولا رفع إليه رأسه فلما طال عليه الوقوف قال معى أبيات أفأنشدها قال افعل وهو فى غاية التكره والثقل فأنشده إياها:

طرحتم على الترحال أمرا فغمنا ... ولو قد فعلتم صبح الموت بعضنا

فلما بلغ إلى قوله:

سأشكو إلى الفضل بن يحى بن خالد ... هواك لعل الفضل يجمع بيننا

وقطب وجهه وقال : أمسك عليك لعنة الله أعزب قبحك الله وأمر بإخراجه محروما فأخرج والتفت الفضل إلى أنس بن أبى شيخ وقال ما

---

(١) ص ٣٦١ معاهد التنصيص للعباسى.

رأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تمييزا فى كلامه منه فقال أنس: إن اسمه كبير فقال : عند من ويلك هل هو إلا عند سقاط مثله وخلق يشاكلونه فقال له وأين هو من "مسلم "فقال الفضل .وقد غضب والله لأحجبنك ثلاثا ولا كلمتك سبعا إذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك والله إن مسلما ليفضل عندى الطبقة المتقدمة أو يساويهم فلا أريتك ثلاثا " (١) كما أعطاه ثمانين ألف درهم على ثمانين بيتا وقال : لولا أنها أكثر ما وصل به الشعراء لزدتك ولكنه شأو لا يمكننى أن أتجاوزه"(٢) .

كذلك أشاد به وبشعره " يزيد بن مزيد الشيبانى " واستنشده شعره وأعطاه الهبات والمنح الكثيرة(٣).

ويشيد به وبشاعريته" منصور الحميرى " حين أدخله على " الرشيد فيقول : يا أمير المؤمنين خلفت بالباب آنفا رجلا من أخوالك الأنصار متقدما فى شعره وأدبه وظرفه ... فقد أنشدنى قصيدة يذكر فيها صبوته وأنسه ولعبه ومجالس اتصلت له بأبلغ قول وأحسن وصف وأقرب رصف تبعث والله يا أمير المؤمنين على الصبابة والفرح وتباعد عن الهم والترح وكأنه وفق بيمن أمير المؤمنين"(٤).

كما أشاد به وبشعره " الفضل بن سهل" واستنشده وأجزل له العطاء ومنحه الإقطاعات(٥). كما أعجب به وبشعره: "داود بن حاتم المهلبى" وأجزل له العطاء بعد ما أطرب مـن شعره وأثنى عليه وقـدره(٦)،ويرى

---

(١) ص ٣٦١ معاهد التنصيص للعباسى
(٢) ينظر ص ٥٥ جـ ١٧ الأغانى
(٣) ينظر : ٤٤ - ٤٥ جـ ١٧ الأغانى.
(٤) ص ٣٨ جمهرة الإسلام للشيزرى.
(٥) ينظر الأغانى ص ١٧ ص ٥٥
(٦) ينظر الأغانى ص ٤٦ جـ ١٧

" ياقوت الحموى ": أنه شاعر مشهور مجيد "[١] إلا أنه أخطأ حين حسب سليمان ابن الوليد ولده والصحيح أنه أخو" مسلم لا ابنه ، وقال صاحب " النجوم الزاهرة ": إنه شاعر مشهور فصيح بليغ وأورد بعض أشعاره فى كتابه[٢] "، ويرى " خير الدين الزركلى : أنه ": أنه شاعر غزل وهو أول من أكثر من البديع وتبعه الشعراء فيه[٣].

وقال عنه صاحب " فوات الوفيات " إنه " أحد فحول الشعراء وانقاد له الشعر وجوده وكسب به الأموال العظيمة ... وسار شعره "[٤] ، ويعجب به ويشعره " المرزبانى" ويرى إنه :" شاعر مفلق مستخرج للطيف المعانى بحلو الألفاظ وهو أول من طلب البديع وأكثر منه وتبعه الشعراء[٥]"، وسئل البعض عن "أبى نواس "ومسلم: فذكر أن أبا نواس أشعر لتصرفه فى أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه : وقال ومسلم جار على وتيرة واحدة لايتغير عنها وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون فى قوة صائغ الكلام أن يأتى مرة بالجزل وأخرى بالسهل فيلين إذا شاء ويشتد إذا أراد ومن هذا الوجه فضلوا جريرا على الفرزدق وأبا نواس على مسلم"[٦]. ويرى " ابن شرف القيروانى ": أن كلامه مرصعٌ ونظامه مصنعٌ وغزله مستعذبٌ مستقربٌ وجملة شعره صحيحة الأصول قليلة الفضول "[٧]، ويقول "أبو نصر بن المرزبانى ": ثلاثة من الشعــراء

---

(١) ص ٢٥٥ جـ ١١ معجم الأدباء لياقوت الحموى مطبعة دار المأمون

(٢) ص ١٨٦ - ١٨٧ جـ ٢ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

(٣) ص ٢٢٣ جـ ٧ الأعلام ط الخامسة

(٤) ص ١٣٦ جـ ٤ فوات الوفيات . محمد بن شاكر الكيثى . تحقيق د/ إحسان عباس دار صادر بيروت.

(٥) ص ٢٧٢ معجم الشعراء للمرزبانى.

(٦) ص ١٧ الصناعتين لأبى هلال العسكرى

(٧) ص ٢٣ رسالة الأنتقاد ط مصر عام ١٩٢٦م.

رؤساء: شلشل أحدهم وسلسل الثانى وقلقل الثالث . فالذى شلشل الأعشى وهو من رؤساء شعراء الجاهلية وهو الذى يقول:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى   شاو مشل شلول شلشل شول

والذى سلسل "مسلم بن الوليد "وهو من رؤساء المحدثين:

سلت وسلت ثم سل سليلها   فأتى سليل سليلها مسلولا

وأما الذى قلقل فالمتنبى"[١] حيث يقول:

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا   قلا قل عيس كلهن قلاقل

ويقول صاحب كتاب " سر الفصاحة " معقبا على بيت "مسلم بن الوليد" الذى سلسله :" ولو لا أن هذا البيت مروى لمسلم وموجود فى ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعد الناس ذهنا وأقلهم فهما ومن لا يعد فى عقلاء العامة فضلا عن عقلا الخاصة لكنى أخال خطرة من الوسواس أو شعبة من البرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت فليته لما عاد إلى صحة مزاجه وسلامة طباعه جحده فلم يعترف به ونفاه فلم ينسبه إليه وما أضيف هذا وأمثاله إلا إلى عوز الكمال فى الخلقة وعموم النقص لهذه الفطرة "[٢] .

وحقا إن هذا البيت ردئ كريه وسقطة من سقطات مسلم بن الوليد " التى أخذت عليه وهى معدودة قليلة وكفى المرء نبلا أن تعد معايبه.

---

(١) جـ ٣ شرح ديوان المتنبى . للعبكرى . تحقيق : السقا والإبيارى وشلبى طبع عام ١٩٣٦ بمصر

(٢) ص ٩٦ سر الفصاحة . لابن سنان الخفاجى طبع عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢ م بمصر

ويرى " بروكلمان " : أنه كان مداحا لهارون الرشيد .. وقد أحيا مذهب شعراء بنى أمية فى مها جاته قنبرا الشاعر"[١].

وإذا كان كل هؤلاء وغيرهم قد أشادو" بمسلم بن الوليد" وشاعريته مع تفاوت فيما بينهم إلا أن هناك من يرى غير ذلك وراح يحط من شأنه ويقول إنه أول من أفسد الشعر[٢]" وفضل البعض عليه دعبلا - مع أن مسلما أستاذه ومعلمه على نظم القريض - بحجة أن كلام دعبل أدخل فى كلام العرب[٣] ، ويرى الآمدى أن أبا تمام سلك طريقه فى البديع فاضمحل بهما شعر العرب[٤].

وخلاصة القول: إن مسلما. لايقل منزلة عن "أبى نواس" وأنهما يتساويان فى المكانة وإن كان "أبو نواس" يتفوق فى بعض الأغراض على "مسلم "فإن مسلما" يتفوق عليه فى المديح والرثاء وقوة الأسلوب ومتانته واستوائه، ولكننا نستطيع القول بعامة إنهما يتساويان فى المنزلة والمكانة وأنهما أشعر شعراء عصرهما قاطبة.

"فمسلم بن الوليد" هو أحد الشعراء الرؤساء فى عصره بل العصور الأدبية المختلفة ويكفيه مكانة ومنزلة رفيعة أنه أول صاحب مدرسة بديعية فنية لها أسسها وأصولها وأنه فتح أبواب المعانى المخترعة على مصاريعها لمن جاء بعده من الشعراء فراحوا يتأثرون بهـا

---

(١) ص ٣٢ جـ ٢ تاريخ الأدب العربى . ترجمة د/ عبد الحليم النجار الطبعة الرابعة،دار المعارف.

(٢) ينظر ص ١٨٣ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى. وص ٣٦٠ معاهد التنصيص. للعباسى.

(٣) ص ٣٦ جـ ١٨ الأغانى ص ساسى

(٤) الموازنة ص ٥٥.

ويأخذونها ويضمنونها فى أشعارهم " فدعبل الخزاعى "و " أبو تمام " و "المتنبى " و " ابن سناء الملك " و " اليزيدى " وغيرهم من الشعراء تظهر فى أشعارهم المعانى التى أخذوها من شعر " مسلم بن الوليد " وتداولوها فيما بينهم ويرجع الفضل" لمسلم بن الوليد" فى ابتكارها ومن هذا القبيل قول دعبل الخزاعى:

لا تعجبى يا سلم من رجل   ضحك المشيب برأسه فبكى

فإنه أخذه من قول مسلم بن الوليد :(١)

مستعبر يبكى على دمنه   ورأسه يضحك فيـــه المشيب

ومن ذلك قول عبيد الله بن محمد اليزيدى:

يا بعيد الدار مــوصـــو   لا بـقـلـبـى ولـســانــى

ربمـا بـاعـدك الـــدهـــ   ـر وأدنـتـك الأمــانــى

فإنه من قول مسلم بن الوليد "(٢)

ذاك ظبى تحير الحسن فى الأر   كان منه وحل كــل مـكـــان

عرضت دونه الحجال فما يـــا   قاك إلا فى النوم أوفى الأمانى

ومن ذلك قول " أبى تمام "(٣)

حطت إلى تربة الإسلام أرحلهــا   والشمس قد نفضت درسا على الأصل

أخذه من قول " مسلم بن الوليد"(٤)

فلما انتضى الليل الصباح وصلنه   بحاشـية من فـجره المـتـــورد

---

(١) ص ٣٠٦ ديوان مسلم بن الوليد

(٢) ص ٣٤٢ ديوان مسلم بن الوليد

(٣) ص   ديوان أبى تمام

(٤) ص ٧٤ ديوان مسلم بن الوليد.

وقال المتنبى [١]

تغدو المنايا فلا تنفك واقفة   حتى يقول لها عودى فتندفع

أخذه من قول " مسلم: [٢].

كأن المنايا عـالـمات بأمـره   إذا خطرت أرماحه ومناصـلـه

وقال " ابن سناء الملك": [٣].

علمتنى بهجرها الصبر عنها   فهى مشكورة على التقبيـح

أخذه من قول " مسلم": [٤]

ياواشيا حسنت فينا إساءته   نجى حذارك إنسانى من الـغرق

والأمثلة على ذلك كثيرة وتزخر بها دواوين الشعراء الذين "أعقبوا " مسلما " وتأثروا بشعره ومعانيه بل ومذهبه الفنى أيضا.

وإذا كان " مسلم بن الوليد " شاعرا عملاقا فذا فى دنيا الشعر والقريض فإن له مع ذلك بصر ابنقد الشعر وتمييزه وعنده دراية واسعة بذلك ، وقد وردت له بعض الأشعار والأخبار التى تدل على ذلك.

فقد روى أن "مسلم بن الوليد" لقى أبا نواس " فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط قال: فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ما شئت حتى أريك سقطه فيه فأنشده:

ذكر الصبوح بسـحرة فارتاحـا   وأمله ديك الصبـاح صـياحا

---

(١) ص ديوان المتنبى

(٢) ص ٣٣٥ ديوان مسلم بن الوليد:

(٣) ص ديوان ابن سناء الملك.

(٤) ص ٣٢٨ ديوان مسلم بن الوليد.

فقال له مسلم : قف عند هذا البيت ، لم أمله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح الذى ارتاح له ؟ قال له أبو نواس: فأنشدنى شيئا من شعرك أنت ليس فيه خلل فأنشده مسلم:

عاصى الشباب فراح غير منفذ   وأقـــام بين عزيمة وتجلـــد

فقال " أبو نواس " : ناقضت ، ذكرت أنه راح والرواح لايكون إلا بانتقال من مكان إلى مكان ، ثم قلت : وأقام بين عزيمة وتجلد فجعلته متنقلا مقيما وتشاغبا فى ذلك ثم افترقا" (١)فإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على بصيرة الشاعرين بنقد الشعر نقدا موضوعيا حيث عاب كل واحد منهما الأخر التناقض بين المعانى.

ويقول " ابن قتيبة " معلقا على ذلك :" إن كل واحد منهما عاب صاحبه التناقض وأن بيت "أبى نواس "متناقض لجمعه بين الارتياح والملل وإن بيت "مسلم "متناقض لجمعه بين الرواح والإقامة وعندى أنهما غير متناقضين ومن ذلك أن الأرتياح إلى الشئ والملل عن غيره وكذلك البيت الأخر: الرواح والإقامة فيه مجازان لاحقيقان فهما غير متناقضين" (٢).

ومن ذلك أيضا : ما عقب به " مسلم " على قول ممدوحه" يزيد بن مزيد الشيبانى " بعد ما فرغ من إنشاده قصيدته التى مدحه بها وقال فيها:

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة   لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

---

(١) ينظر جـ ٢ ٧٨١ الشعر والشعراء لابن قتيبة . وجـ ١٧ ص ٤٠ وما الأغانى . وص ٢٧١ الموشح للمرزبانى.

(٢) ينظر مختصر مقدمة الشعر لابن منقذ.

فقال له " يزيد بن مزيد " هلا قلت كما قال "أعشى بكر بن وائل" فى مديح قيس بن معديكرب:

وإذا تجئ كتيبة ملمومة شهباء تجتنب الكماة نزالها
كنت المقدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها

فقال مسلم : قولى أحسن من قوله لأنه وصفه بالخرق وأنا وصفتك بالحزم"(١).

ومن هذا القبيل : تقدير " مسلم " لشعره وبصره بميزاته وجودته ، ويتضح ذلك فى حديث جرى بينه وبين " البيدق الراوية" حينما دخل الأخير دار " يزيد بن مزيد " وفيها خلق كثيرون ووجد هناك مسلما ، حيث قال له مسلم : ما فى نفسى أن أقول شعرا أبدا فقال البيدق: ولم ؟ قال: لأنى مدحت هذا الرجل - يعنى يزيد بن مزيد - بشعر ما مدح بمثله قط ولا أجد من يوصله فقال له : أنشدنى بعضه فأنشده:

موف على مهج فى يوم ذى رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل

حتى أخر الأبيات ، ثم أنشد الراوية هذه الأبيات " يزيد بن مزيد " فأمر لمسلم بخمسمائه درهم ثم بعث إليه بخمسمائه أخرى":(٢).

فهذا نقد ذاتى من " مسلم بن الوليد " نقد به شعره ووصفه بالجودة وأنه لايدانيه شعر فى غرضه.

وقد بلغ من عظم مكانة شعر " مسلم " وشاعريته أن أكثر العلماء والباحثون والدارسون من الاستشهاد بشعره فى مختلف العلوم : من نحو

---

(١) ص ٢٨٦ جـ ٢ وفيات الأعيان لابن خلكان طبعة مصر عام ١٣١٠هـ
(٢) ص ٤٤ وما جـ ١٧ الأغانى.

وصرف وبلاغة وأدب ونقد (١) فضلا عن هذه الأبيات السائرة التى سارت وأخذت من الشهرة مالم تنله أشعار شاعر أخر ، فإن أمدح بيت قالته العرب بيته:

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها   والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأن أرثى بيت قالته العرب بيته:

أرادوا ليخفوا قبره عن عـــدوه   فطيب تراب القبردل علـى القبر

وقيل قوله:

قبر ببرذعة استسر ضريـحه   خطرا تـقاصر دونه الأخطـــار

آجل تنافسه الحمام وحـفـرة   نفست عليها وجهك الأحـــفـار

وإن أهجى بيت قالته العرب بيته:

قبحت مناظره فحـين خـبرته   حسنت مـناظره لقبـح المخـبر

وإن أغزل بيت قالته العرب بيته:

هوى يجد وحبيب يلـعـب   أنت لقى بيـنهـما مـعـذب

والحقيقة التى لامراء فيها أن " مسلما " لم يفسد الشعر ببديعة كما زعم البعض ولم يضمحل به شعرالعرب كما زعم الأخرون ولكنه جمل الشعر العربى وزينه وحسنه بالآلئ وجواهر غالية زادت جمال الشعـــر

---

(١) ينظر على سبيل المثال : ص ٣٥٤ جـ٥ العقد الفريد. وص ٤٤ الوساطة بين المتنبى وحضومه. وص ٢٨ - ٣٩ الموازنة بين أبى تمام والبجترى وص ٣٧٢ معجم الشعراء للمرزبانى وص ١٠٣ ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى طبعة مصر عام ١٣٥٢ هـ . وص ٢٤٢ وص ٢٧٠ جـ ١ العمدة لابن رشيق.

جمال على جمال ورونقا وبهاء وسما ببديعه الشعر فى ألفاظه ومعانيه، ومن الظلم الواضح أن يحكم الناقد على شعره وبديعه بذنب اقترفه غيره - وهو أبو تمام - الذى جعل البديع كل همه وطغى على معانيه فأفسد بعض شعره بخلاف " مسلم " الذى لم نعثر له فى ديوانه على شعر ودئ أو متخلف ، ولم يقع فى سقطات مثل التى وقع فيها أبو تمام الشاعر العملاق.

" الخـــاتـــمـــة "

وبعد ... فقد تناولت هذا البحث - بالدراسة وقد اشتمل على مقدمة وخمسة فصول.

تحدثت فى المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب تناوله والمنهج الذى التزمته فيه.

والفصل الأول:

خصصته لحياة الشاعر ، حيث تعرضت لنسبه والخلاف الذى دار حوله والرأى الذى رجحته معتمدا على كثير من الأدلة التى سقتها لتأييده ، ثم تعرضت للقبه وكنيته وسبب كل منهما . ثم أفضت القول عن حياته ومراحلها وولادته وتاريخها ومكانها ونشأته منذ طفولته إلى أن أصبح شاعرا عملاقا له مكانته بين شعراء عصره وتحدثت عن صلاته المتعددة وصفاته التى تحلى بها موازنا بينه وبين بعض شعراء عصره الذين صادقهم وجالسهم فى الأخلاق والصفات والثقافة ثم ختمت الفصل بالحديث عن موته والسنة التى توفى فيها ومكان الوفاة.

الفصل الثانى

جعلته لثقافته وشعره، حيث تحدثت عن ثقافته والعلوم التى ثقفها سواء كانت قديمة أو حديثة وأوضحت أن الشاعركان مثقفا ثقافة واسعة مكنته من أن يفرض نفسه على التاريخ الأدبى، ثم تعرضت لشعره وما ضمه ديوانه من أغراض وموضوعات ، فقد تحدثت عن غزله وبينت أنه قد عرف الغزل بأنواعه الثلاثة : التقليدى والعفيف والحسى مستشهدا ببعض نماذجه متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل موضحا مكانته المتقدمة فى هذا الميدان مظهرا قدرته الفائقة فى شعر الغزل . ثم تحدثت

عن وصف الخمر فى شعره مظهرا مكانته فى ذلك وبراعته فى وصفها حيث احتل مرتبة متقدمة بين شعراء عصره فى وصفها وأنه يعقب أبا نواس فى هذا الميدان وتعرضت لبعض أشعاره فى الخمر متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل ، ثم تعرضت لشعر الطبيعة فى ديوانه وبنيت أنه قد عرف الطبيعة بنوعيها : الحى والصامت وأنه قد برع فى وصفها وتفوق فى بعض مظاهرها خاصته وصف السفينة ووصف الناقة . ثم تعرضت لبعض الأغراض الشعرية الأخرى: كالرثاء والهجاء والفخر والحكمة والعتاب بالحديث الموجز.

الفصل الثالث:

خصصته للمدح فى شعره وفصلت القول فيه تفصيلا ظاهرا - لأنه مدار البحث وموضوعه - وقد بيّنت أن المدح كان أكثر الأغراض الشعرية دورانا فى ديوانه وأنه يحتل المرتبة الأولى فيه مبنيا السبب فى ذلك موضحا مكانة الشاعر فى هذا الميدان وبراعته فيه.

وقد قسمت مدحه إلى : مدح سياسى : نظمه فى رجال السياسة وكبار رجال الدولة العباسية من خلفاء ووزراء وقواد وولاة وقضاة وغيرهم . ومدح اجتماعى : نظمه فى الشخصيات الاجتماعية العامة من أبناء المجتمع العباسى ، وبينت الخصائص الفنية الخاصة لكل من النوعين مثبتا الأمثلة والنماذج الشعرية التى تثبت تفوقه فى فن المديح متعرضا لها بالشرح والنقد والتحليل مظهرا التقديم والجديد فيها.

الفصل الرابع:

تحدثت فيه عن الخصائص الفنية لمدائحه - وقد صدرته بالحديث عن مذهب الشاعرالفنى ومادار حوله من آراء مثبتا نظرتى الخاصة تجاه هذا الموضوع.

ثم تحدثت عن البناء الفنى للمدحة وبينت أن الشاعر قد بنى قصيدة المدح على أشكال مختلفة وصور متعددة وأنه قد تأثر بالقدماء فى بعضها ونحا نحوا تجديديا فى البعض الأخر ثم تحدثت عن لغة الشاعر وأسلوبه وأوضحت أنه قد حافظ على سلامة اللغة وقوتها وأنه ترسم أسلوب الفحول من القدماء وبينت ما يتميز به أسلوبه عن أسلوب الأخرين .. ثم تحدثت عن المعانى والأفكار وبينت أن الشاعر قد استقى فى مدائحه من معانى الأقدمين وأنه قد ابتكر كثيرا من المعانى وأخذها من جاء بعده من الشعراء.

ثم تعرضت للحديث عن الخيال والتصوير ووضحت أن الخيال قد لعب فى مدائحه دورا بارزا .. ثم تحدثت عن الأوزان والقوافى وبينت أن الشاعر كان من الشعراء المحافظين الذين حافظوا على الوزن والقافية فى مدائحهم وأنه نهج نهج القدماء فى مدائحه حيث آثر الأوزان الطويلة لها لأنها تتلاءم وشعر المدح فضلا عن اهتمامه بالقافية التى التزمها فى مدائحه ... كل ذلك تعرضت له مستخدما الأمثلة والنماذج الشعرية التى تثبت ذلك وتوضحه.

الفصل الخامس:

جعلته لمنزلة الشاعر ومكانته ... وقد تعرضت لأقوال النقاد - قديمهم وحديثهم - فى شاعريته ومنزلته مثبتا رأيى الخاص مؤيده بالأدلة والأمثلة الشعرية من ديوانه ... حيث يعد الشاعر من فحول الشعراء فى العصر العباسى الأول وأنه يقف فى الصف الأول من شعرائه وأنه من فحول الشعراء فى الأدب العربى بوجه عام .

وإنى لأرجو الله تعالى التوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير،

دكتور

عبد الهادى عبد النبى على

" مراجع البحث ومصادره "

(١) القرآن الكريم.

(٢) إتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى . للدكتور : مصطفى هدارة طبع دار المعارف بمصر عام ١٩٦٣م.

(٣) أخبار أبى تمام للوصولى . طبعة مصر عام ١٩٣٧م.

(٤) الأعلام . لخير الدين الزركلى. الجزء السابع . طبع دار العلم ببيروت الطبعة الخامسة عام ١٩٨٠م.

(٥) الأغانى "لأبى الفرج الأصبهانى" جـ ١٦، جـ ١٧ وجـ ١٨ طبع دار الكتب المصرية . وطبعة ساسى.

(٦) الأمالى. لابن دريد، طبع أصاف مصر عام ١٨٩٨م.

(٧) الأوراق للصولى . الجزء الأول طبع مصر عام ١٩٣٤م.

(٨) البديع لابن المعتز . طبع عام ١٩٣٩م.

(٩) البيان والتبيين ، للجاحظ الجزء الأول تحقيق د. عبد السلام هارون مصر عام ١٩٤٨م

(١٠) تاريخ آداب العرب للرافعى الطبعة الثالثة.

(١١) تاريخ الأدب العربى . كارل بروكلمان ترجمة : د/ عبد الحليم النجار جـ ٢ طبع : دار المعارف . الطبعة الرابعة.

(١٢) تاريخ بغداد . للخطيب البغدادى . طبعة مصر . عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م.

(١٣) تشنيف السمع ، للصفدى طبعة مصر عام ١٣٢١هـ.

(١٤) التمدن الإسلامى لجورج زيدان . الجزء الثالث.

(١٥) حياة الشعر فى الكوفة للدكتور /: يوسف خليف.
(١٦) ديوان إبن سناء الملك
(١٧) ديوان أبى تمام.طبعة دار المعارف .
(١٨) ديوان أبى نواس . تحقيق: أحمد الغزالى.دار الكتاب العربى - بيروت.
(١٩) ديوان المعانى . لأبى هلال العسكرى . طبعة مصر عام ١٣٥٢هـ.
(٢٠) رسالة الانتقاد . لابن شرف القيروانى طبعة مصر عام ١٩٢٦م.
(٢١) زهر الآداب. للحصرى الجزء الرابع طبع مصر .عام ١٩٣١م.
(٢٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى طبعة مصر عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
(٢٣) سمط الآلى للبكرى طبعة مصر عام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م.
(٢٤) شرح ديوان المتنبى . للعكبرى.
(٢٥) شرح ديوان صريع الغوانى . تحقيق الدكتور : سامى الدهان الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر.
(٢٦) شرح سقط الزند . تحقيق الدكتور الإبيارى وزملائه . مصر عام ١٩٤٥م.
(٢٧) الشعر والشعراء . لابن قتيبة تحقيق الدكتور : أحمد محمد شاكر . مصر عام ١٣٦٦هـ.
(٢٨) صريع الغوانى . للدكتور / : عبد القادر الرباعى . الطبعة الأولى طبع دار العلوم بالرياض عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
(٢٩) الصناعتين . لأبى هلال العسكرى ، طبعة الأستانة عام ١٣٢٠هـ
(٣٠) طبقات الشعراء . لابن المعتز طبع عام ١٩٣٩م.
(٣١) العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى للكتور : إحسان النص.

(٣٢) العصر العباسى الأول للدكتور : شوقى ضيف . دار المعارف بمصر.

(٣٣) العقد الفريد . لابن عبد ربه . ج٢ وج ٦ تحقيق : أحمد أمين وزملاؤه مصر عام ١٩٤٠م.

(٣٤) العمدة فى محاسن العشر وأدابه ونقده . لابن رشيق . الجزء الأول والثانى.

(٣٥) الغيث المسجم ، للصفدى طبع مصر عام ١٣٠٥هـ

(٣٦) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى تحقيق : الدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت الجزء الرابع.

(٣٧) الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزء الخامس طبعة بيروت.

(٣٨) لطائف المعارف للثعالبى طبعة المستشرق : ده يونج بليدن

(٣٩) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير تحقيق د: أحمد الحوفى ود : بدوى طبانة . طبع : مكتبة نهضة مصر عام ١٩٦٢م.

(٤٠) مسلم بن الوليد . للأستاذ الترزى

(٤١) معالم الشعر وأعلامه، فى العصر العباسى الأول . للدكتور : محمد نبيه حجاب الطبعة الثانية . دار المعارف عام ١٩٧٣م.

(٤٢) معاهد التنصيص للعباسى طبع : المطبعة البهية بمصر عام ١٣١٦هـ

(٤٣) معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ١١ طبع : مطبعة دار المأمون.

(٤٤) معجم البلدان . لياقوت المحوى جـ ٢ وجـ ٣ وجـ ٤

(٤٥) معجم الشعراء للمرزبانى طبعة مصر عام ١٩٥٤م.

(٤٦) مقدمة القصيدة العربية فى العصر العباسى الأول للدكتور: حسين عطوان طبع : دار المعارف بمصر.

(٤٧) الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، لأبى القاسم الآمدى ،طبعة الأستانه عام ١٢٨٧هـ

(٤٨) مواسم الأدب للبيتى العلوى طبعة مصر عام ١٣٢٦هـ

(٤٩) الموشح للمرزبانى طبعة مصر عام ١٣٤٣هـ

(٥٠) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، لابن تغرى بردى جـ ٢ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة والنشر.

(٥١) نقد الشعر . لقدامة بن جعفر.

(٥٢) الوزراء والكتاب . للجهشيارى ، تحقيق الأساتذة : السقا والأبيارى وشلبى . مصر عام ١٩٣٨م.

(٥٣) وفيات الأعيان . لأبن خلكان . الجزء الأول مصر عام ١٣١٠هـ.

" الفهــــرس "

تم بحمد الله وتوفيقه،،،

رقم الأيداع بدار الكتب المصرية ١٩٩١/٧٢٦٩

الترقيم الدولى 977-00-1958-5